الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب و اللغات : قسم اللغة و الأدب العربي

المرجع :.....

بين التاريخي والفني في رواية

"الرايس" لهاجر قويدري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

من إعداد الطالبتين
- غـــادة مطاعـــي
- شيريـــــن مناصر

إشراف الدكتور(ة)
سعـــاد حميـــدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ

أَوْ أُنثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ

حَيَاةً طَيِبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[97] .

سورة النحل الآية (97)

صدق الله العظيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى« وَلَئِنْ شَكَرْتُم لَأَزِيدَنَكُمْ» نحمد الله سبحانه وتعالى حمدًا يليق لجلال وجهه وعظيم سلطانه على نعمه وتوفيقه لنا على إتمام هذه المذكرة.

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" وإيمانا بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان أستاذتنا ومشرفتنا صاحبة الصدر الرحب والخلق الكريم الأستاذة " سعاد حميدة".

ونتقدم كذلك بالشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة لقبول مناقشة هذه المذكرة.

وألف شكر إلى الذي حمل معنا أعباء هذا العمل.

ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

إهداء

إلى والديّ العزيزين.....

إلى أفراد عائلتي كلهم .....

إلى أصدقائي .....

غادة

إهداء

إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي روح الطموح والمثابرة

إلى الذي شجعني في رحلتي إلى التميز والنجاح

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

-والدي العزيز-

إلى نبع الحنان الذي لا ينضب

إلى التي سهرت الليالي وربتني وساندتني ووقفت إلى جانبي

-أمي الغالية-

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

إخوتي الأعزاء

زينب وأحلام وسماح وآية الرحمن

إلى صديقات دربي الحبيبات

مهما تكلم فإنني لا أستطيع أن أوفيهن حقهن فهن يتميزن بالطيبة

والقلب الصافي والروح المرحة

نورهان وبثينة

إلى زميلتي غادة لك مني أطيب تحية على وقوفك إلى جانبي.

شيرين

شيرين

مقدمـــــة

برزت الرواية في الساحة الأدبية كجنس أدبي حديث وقد عرفت انتشارا كبيرا لكونها أكثر استيعابا للواقع المعاش ومتغيراته، فقد كانت بمثابة الوعاء الذي تصب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان، فمن خلالها تمكن الكتاب من تجسيد الواقع وتصوير مشاكل الحياة، وقد أولت الدراسات الحديثة اهتماما كبيرا لهذا الجنس الأدبي، ونحن بدورنا قد سلطنا الضوء على نوع معين منه ألا وهو الرواية التاريخية؛ فقد أردنا تبيان علاقة الرواية بالتاريخ باعتباره تجسيد للماضي والحقائق السابقة ومعرفة مدى استيعاب هذا الفن للواقع، وقد جاء بحثنا هذا موسوما بـــ" بين التاريخي والفني في رواية الرايس لهاجر قويدري ".

من الدوافع لاختيارنا هذا الموضوع هو اجتماع عدة أسباب بعضها موضوعي وبعضها الآخر ذاتي يكمن في: محاولة إبراز القيم الفنية والجمالية الواردة في الرواية، وكذا تعزيز الدراسة في هذا المجال باعتبار أن هذه الرواية تندرج ضمن الرواية التاريخية _هذا الموضوع يدخل في صميم الأدب الجزائري الذي لم ينل حظه من الدراسات الأكاديمية ومنه بنينا بحثنا هذا من خلال طرح إشكالية هي : "جدلية التاريخي والفني في رواية الرايس " ، لتندرج تحتها مجموعة من التساؤلات في محاولة منا لرفع اللبس عن هذا الموضوع ، فهناك علاقة معقدة وجدلية بين التاريخ والرواية / الواقعي والتخيلي ، فبرزت هذه التساؤلات:

- ما مفهوم التاريخ وما هي خصائصه؟
- ما مفهوم الرواية التاريخية ؟ وما هي خصائصها؟ ومن هم أعلامها؟
- كيف تجسد التاريخ في الرواية؟

ولتحقيق هذه الدراسة إعتمدنا على توظيف تقنيات المنهج البنيوي، والاستعانة بالمنهج التاريخي.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة، فقد قسمنا موضوع الدراسة وفقا للخطة التالية:

مقدمة: مهدنا فيها للموضوع وطرحنا إشكالية وعرضنا فيه خطة البحث المتبعة.

وقد تأسس البحث على فصلين؛ الفصل الأول جاء معنونا بـــ: الرواية والتاريخ؛ تطرقنا فيه لضبط المصطلحات كجانب نظري، بحيث استحضرنا أهم المفاهيم لكل من (التاريخ، الرواية، الرواية التاريخية)، ثم وقفنا على خصائص كل من التاريخ والرواية التاريخية وشروط المؤرخ .

بينما كان الفصل الثاني معنونا بـ: "بين التاريخي والفني في رواية الرايس تطرقنا فيه لمفهوم الشخصية ودرسنا أبعادها، ثم عرضنا الشخصيات تاريخيا وفنيا، ثم تطرقنا لمفهوم المكان وأهم أنواع الأمكنة التي وردت في الرواية، وعرضنا المكان تاريخيا وفنيا وانتقلنا بعدها لمفهوم الحدث الروائي وعرضنا الحدث تاريخيا وفنيا..

أما فيما يخص خاتمة البحث فقد جاءت بجملة من النتائج المعرفية التي أظهرتها الدراسة مما جعلنا نأخذ تصورا عاما، حول ما ورد في البحث، ثم يلي الخاتمة "ملحقا" فيه نبذة عن الكاتبة "هاجر قويدري" وتجربتها الإبداعية، ثم تلاها ملخص عن رواية الرايس أوردنا فيه أهم الأحداث التي وردت، ثم ختم عملنا هذا بملخص عن هذا العمل.

أما في ما يخص أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في عملنا هذا نذكر:

- ✓ بنية الشكل الروائي: لحسن بحراوي.
- ✓ الرواية التاريخية: لجورج لوكاتش.
- ✓ مفهوم التاريخ: لعبد الله عروي
- ✓ علي ثابليت: الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية.
- ✓ وليام سبنسر: الجزائر في عهد "رياس" البحر.

فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في إعداد موضوع دراستنا نذكر:

- ➢ صعوبة الحصول على بعض المراجع وخاصة الأجنبية منها.
- ➢ نظرا للظرف الصحي التي تمر به البلاد، فإننا لم نستطع الحصول على الكتب الورقية التاريخية، الخاصة بالفترة التي نود دراستها.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة: حميدة سعاد التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول: الرواية والتاريخ.

المبحث الأول: الرواية.

أولا_ مفهومها

1.1_ لغة.

2.1_ اصطلاحا.

ثانيا_أنواعها.

المبحث الثاني: التاريخ.

أولا_ مفهومه

1.1- لغة.

1.2- اصطلاحا.

ثانيا_ خصائص التاريخ وشروط المؤرخ.

1.2_ خصائص التاريخ.

2.2_ شروط المؤرخ.

المبحث الثالث: الرواية التاريخية.

أولا_ مفهومها

ثانيا_ خصائصها

ثالثا_ أعلامها

1.3_ أعلام الرواية التاريخية الغربية

2.3_ أعلام الرواية التاريخية العربية

تمهيد:

أثارت العلاقة بين الرواية والتاريخ جدلا بين الباحثين والمهتمين بقضايا النقد والتنظير الأدبي، "كون الرواية شكلا تعبيريا وجماليا والتاريخ علم له ضوابطه المنهجية والمعرفية"[1] بحيث نشأت بينهما علاقة، فالتاريخ يتعامل مع الحقائق والوقائع وما هو كائن حيث يتعامل الأدب مع الخيالات أو ما هو ممكن ومحتمل، فالرواية تقع على هامش التاريخ في موقع مضاد له.

وبناءا على ذلك "فقد اتخذت الرواية أشكالا متعددة في تعاملها مع التاريخ، منها ما حاول بعث حقبة تاريخية في أمانة ودقة، ومنها ما انطلق من الواقع التاريخي وحوله إلى خيال، فالتاريخ قد يبدو كحكاية أو قصة أو حكي أو سرد أدبي ما يقصد الأدب، ويصوره النص، وتقيمه مادة تشكيل أدبي"[2]، فالرواية والتاريخ يكشفان عن وجود تمايز بينهما فالرواية تعمل على المادة التخيلية، بينما التاريخ يعمل على سرد أحداث واقعية.

[1] _ بن جمعة بشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، ط1، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، المغرب1999، ص85.

[2] _ المرجع نفسه، ص86.

المبحث الأول: الرواية

أولا_ مفهومها: نتطرق إلى مفهوم الرواية ونبدأ بمفهومها في اللغة

1.1_ في اللغة

اختلف الباحثون وعلماء اللغة في تحديد مفهوم دقيق للرواية، ويعود ذلك إلى تعدد معانيها واختلافها، ولعل معظم المعاجم العربية قد تناولت المعنى الغالب عليه.

من بين التعاريف اللّغوية التي بحثت في مفهومها الرواية ما جاء في القاموس المحيط هو "رَوَى الحديث، يَرْوِي رِوَايَهُ وتَرَوَاهُ، بمعنى وهو رواية المبالغة"[1]، وهو يعني رَوْي الحديث وسرده وينتقل عبر الرواة بالتتابع.

وقد ورد في تعريف آخر في معجم الوسيط أن الرواية، "قصة طويلة محدثة"[2]، أي أنها تمتاز بالطول والحداثة.

كما جاء تعريف الرواية على أنها، "سرد نثري طويل، يصور شخصيات فردية من خلال سرد سلسلة من الأحداث والأفعال المشاهدة"[3]، فالرواية عبارة عن قصة طويلة يبرز من خلالها شخصيات وأحداث مستنبطة من الواقع، فهي وبحسب التعريفين السابقين في شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الوسطى والكلاسيكية، نشأت مع ظهور الطبقة البورجوازية.

وجاء في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش قوله أن الرواية، "سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية، من خلال سرد سلسلة من الأحداث والأفعال المشاهدة، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البورجوازية، فالرواية هي الشكل الأدبي الذي يعكس بواكير اكتمال ذلك التغير في الاتجاه العام للثقافة والأدب من الممارسة التقليدية إلى الابتكار والأصالة الفردية"[4]، وذلك يعني أنها سرد للأحداث بشكل مطول ومتسلسل.

---

[1]_ الفيروز أبادي محي الدين بن يعقوب: القاموس المحيط هو، مج1، تح: محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، د ط، دار الحديث، القاهرة، مصر 2008، ص285.

[2]_ ضيف شوقي: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية للطباعة والتوزيع، القاهرة، مصر 2004، ص384.

[3]_ فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، د ت، ص176.

[4]_ علوش سعيد: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان 1985، ص76.

2.1_ في الاصطلاح:

يعد الباحث جورج لوكاتش George lukacs من الباحثين الذين أولو الرواية اهتماما فعرفها بقوله: "هي الشكل الأدبي الرئيسي لعالم لم يعد فيه الإنسان مغتربا كل الاغتراب، فلكي يكون هناك أدب ملحمي- والرواية شكل ملحمي- لابد من وجود تعارض نهائي بين الإنسان والعالم وبين الفرد والمجتمع"[1]، فالشكل الروائي يقدم لنا تجسيدا للواقع عل الرغم من أنه لا يتصف بالثبات بالإضافة إلى كونها شكل ملحمي تجمع الإنسان بالماضي القديم.

أما الرواية في نظر الباحثين فهي، " النوع الأدبي الوحيد الذي تتحول فيه أخلاقيات الروائي إلى قضية جمالية في العمل"[2]، أي أنه يجعل ما هو تجريدي وأخلاقي في وعي الروائي عنصرا جوهريا في العمل، فالانطلاق من واقع روائي، مع إضافة بعض التخيل الجمالي على عمله الإبداعي.

من بين التعريفات الأخرى للرواية ما ذكر بأن، "عبارة عن عمل أدبي متخيل، وذلك يعني أن الحكاية القصصية تقدم نصف الحقيقة، إن لم تقدم الحقيقة كلها أحيانا"[3]، وهذا يعني أن الرواية مرتبطة بواقع زماني ومكاني محدد، يتخللها بعض التخيل تربطه فنية قوية بالحدث.

وكذا تعريف آخر يقول بأن، "الرواية في جوهرها نوع أدبي يصور فردا مأزوما، غير متصالح مع مجتمعه، وهذا الفرد لن يكون إلا شخصية إنسانية خرجت من أرض الواقع واستمدت منها معظم مكوناتها المادية والمعنوية، وأزمة أبطال الروايات هي في الحقيقة أزمات المجتمع الذي يعيشون فيه، وهي في الوقت ذاته أيضا- فتكون أزمة المؤلف نفسه مع واقعه"[4]، فالرواية تحاول الهروب من الواقع المتأزم الذي يعيشه الإنسان وتصور معاناته، وقد تطرح الرواية حلولا للخروج من الأزمات المعاشة في الواقع.

---

[1] _ بحراوي حسن: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الشخصية، الزمن، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 1990، ص7.

[2] ـ المرجع نفسه، ص11.

[3] _ وادي طه: الرواية السياسية، د ط، الشركة المصرية للنشر، القاهرة، مصر د ت، ص16.

[4] _ المرجع نفسه، ص73.

كما نجد جورج لوكاتش George lukacs قد تطرق لتعريف الرواية بقوله: "إن الرواية هي شكل الفحولة المنضجة، في مقابل ما يميز الملحمة في طفولية معيارية"[1]، فهي تعد شكلا سرديا ناضجا على الملحمة.

إن العمل الروائي هو إبداع فني، ينطلق من الحقائق مع إضافة الفن إليها وذلك يرجع إلى قدرة الكاتب فنجد، "أن الروائي يعتمد التخيل في سرد الأحداث، فيحذف ويقدم ويوفر"[2]، وذلك راجع لكونه يبحث عن حلول لمعالجة الواقع المعاش، والخروج من دائرة الضعف ومحاربة الظلم.

ثانيا_ أنواع الرواية:

نسعى من خلال بيان أنواع الرواية تبسيطها، من أجل القدرة على فهمها وإدراكها وهي على الغالب تنقسم إلى أربعة أنماط هي الرواية الواقعية، والرواية النفسية والرواية الرومانسية، إضافة إلى الرواية السياسية، وقد تطرقنا لكل نوع على حدة فهي كالآتي:

1.2_ الرواية الواقعية:

هي الشكل الروائي الذي يقوم فيها المبدع بإعادة تصوير لحياة المجتمعات السابقة ووصف فترة زمنية معينة، والإلمام بجميع ملامحها مع التحقيق في أبسط التفاصيل فنجد، "أن تصوير التجارب الواضحة عبر الزمن يمنح الرواية–باعتبارها شكلا أدبيا–قوة متميزة، إن الرواية، اعتمادا على توظيفها لنقل الإحساس بتغير العلاقات، وتأكيدها لإطراء طبيعة سلوك الإنسان تستطيع أن ترسخ الإيهام بمرور الزمن وحركته"[3]، في تطلعنا على طبيعة العالم الذي تعني بتصويره، وأيضا فهي تمنحنا الإحساس بحركية الزمن.

وكما نجد أن الرواية الواقعية تتصف بالسحرية فهي عبارة عن، "وقع أحداث غريبة ومستحيلة في قصة تميل أحداثها الأخرى إلى الواقعية، وقد ارتبطت بصفة خاصة بالقصص

---

[1]_ دراج فيصل: نظرية الرواية والرواية العربية، د ط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2002، ص15.

[2]_ وتار محمد رياض: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة، د ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا2002، ص195.

[3]_ هينكل روجر: قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، تر: صلاح رؤوف، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د ت، ص97.

المعاصرة في أمريكا اللاتينية (مثلا أعمال الروائي الكولومبي غارسيا مركيز)"[1]، إذن فهي تقوم على استحضار الأحداث الواقعية بطريقة خيالية تتناسب مع أفكار الكاتب.

2.2_ الرواية النفسية:

هي الرواية التي ينصب اهتمامها على تطور الفرد في محاولة لفهم سلوكيات الفرد وكيفية تشكل مشاعره وأحاسيسه، وذلك يتمثل في كون، "حيوية الحركة تأتي في كثير مواطنها من البواعث الوجدانية، تلميح ذو مغزى أو حدث يستثير مشاعر كامنة أو مكبوتة تقودنا إلى أوقات أخرى انبعثت فيها تلك المشاعر"[2]، أي أنها تبحث في المشاعر الخاصة بالفرد ومحاولة إبرازها وبعثها في قالب فني جميل ومعبر.

إن غاية الرواية النفسية، "مشاركة الفريد Alfred sheppard تجاربه الخاصة، فهي تهدف إلى الانشغال بالتجارب ذات الأهمية الخاصة بالنسبة للفرد أكثر من الانشغال بالأحداث الاجتماعية والتاريخية"[3]، أي محاولة فهم طبيعة مشاعره وسلوكاته وتحليلها.

3.2_ الرواية الرومانسية:

في إطار حديثنا عن الرواية الرومانسية يتوجب علينا التمييز بين نمطين هما الرومانسية الحديثة والرومانسية الكلاسيكية، وذلك في نظر هينكل راجع لكون، "القصص الرومانسية القديمة كانت تتعامل مع شخصيات ومواقف مثالية(...)، أما القصة الرومانسية الحديثة فنادرا ما تكون مثالية، برغم كونها غريبة وغير طبيعية في كثير من جوانبها، ولكنها جديدة وليست تقليدية وتستند إلى واقع العصر الذي تنتمي إليه"[4]، تعتبر الرواية الرومانسية المرآة العاكسة للحياة العاطفية التي يعيشها أفراد المجتمع، على الرغم من اعتمادها على الخيال فإنها تنجح في تصوير الواقع المعاش بدقة وتفاني.

إن الرواية الرومانسية تنقلنا إلى عوالم مختلفة فهي عبارة عن، "أحداث تقع في مكان منعزل بعيد عن البيئة الاجتماعية العادية، القصة تروى بطريقة غير مباشرة، ويعمد إلى نقلها بصورة حرفية تعول على الوصف كل التعويل لأن أحداثها كلها غريبة مثيرة للعجب"[5]

---

[1]_ لودج ديفيد: الفن الروائي، تر: ماهر البطوطي، ط1، دار نشر viking، ع 288، 2002، ص132.

[2]_ هينكل روجر، قراءة الرواية، ص109.

[3]_ المرجع نفسه، ص118.

[4]_ المرجع نفسه، ص132.

[5]_ المرجع نفسه، ص133.

فهي تعمل على نقل الأحداث الواقعية لكن بصورة سحرية خيالية مما يضفي عليها جمالية عجيبة تسحر القراء بتميزها.

4.2_ الرواية السياسية:

لقد تطرق إلى هذا النوع من الرواية طه وادي فعرفها بقوله: "هي الرواية التي تلعب القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي"[1]، أي أنها تشكل البناء الفني الذي تطرح من خلاله قضايا المجتمع ومدى تأثيرها في حياة الأفراد والمجتمعات لما لها من دور بارز في تحريك أحداث الواقع وتصوير قضاياه المختلفة وبالإضافة إلى ذلك فإن للرواية السياسية أهداف وغايات ترجو تحقيقها من خلال توفر جملة من المعايير الأساسية فيها، "فالمعيار السياسي الذي يدرس العصور الأدبية من خلال جعل الأدب ظلا للسياسة بفرضها العامل الأوحد في تحديد العصور الأدبية وسماتها الفنية، وإن من الغلو بل من الخطأ الفادح الاعتقاد أن عاملا واحدا يشكل حقيقة أو ظاهرة حياتية بل الأدب الذي تزدوج فيه بشكل معقد ومتشابك الذاتية والموضوعية أو (العقل) و(الشعور)"[2]، وإن العامل السياسي يفرض انتماء الكاتب إلى حزب سياسي معين، بل إنه يفرض عليه معالجة قضايا وطنه ومحاولة إيجاد حلول تتناسب مع الأوضاع المعاشة.

المبحث الثاني: التاريخ

أولا_ مفهوم التاريخ: نمر على مصطلح التاريخ كذلك في اللغة والاصطلاح ونبدأ بمفهومه في اللغة.

1.1_في اللغة:

تعدد المفهوم اللغوي للتاريخ عند كثير من الكتاب والمؤرخين، القدماء منهم أو المحدثين، وذلك حسب وجهة كل واحد منهم في ضبط ماهيته، للوصول إلى تحديده، إذ جاء في لسان العرب، "أن التاريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ ليوم كذا وقته"[3]، فالتاريخ حسب بن منظور هو الإعلام عن الوقت.

---

[1]_ وادي طه، الرواية السياسية، ص6.

[2]_ العلي عدنان عبيد: الأدب العربي بين الدولة والتاريخ، تح: سامر محي الدين أمين، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن2013، ص76.

[3]_ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان القرب، مج3، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص04.

كما ورد في مختار الصحاح، تعريف التاريخ في مادة: أرخ: التأريخ والتوريخ: تعريف الوقت، يقال: "أرخ الكتاب بيوم كذا ورخه"[1] فإن التاريخ بهذا المعنى يدل على التوريخ والوقت الذي ينتهي إليه زمنه.

أما في معجم الوسيط، يعرف التاريخ بأنه، "جملة من الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية"[2] فالتاريخ يدل على مجرى الحوادث التي يمر بها الإنسان، كما يقوم بتحليل الظواهر الطبيعية والإنسانية.

ورد لفظ التاريخ في معجم المصطلحات العربية المعاصرة أن، "التاريخ مشتق من كلمة يونانية، تعني الزمن وهي تدل على سجل الأحداث وترادف على وجه التقريب كلمة تاريخ"[3]، فهو مستمد من الأصل اليوناني القديم، أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك آثاره على الصخر، كما تدل على مجرى الأحداث، فهو فن يبحث عن وقائع الزمان.

2.1_ في الاصطلاح:

للتاريخ تعريفات عديدة يصعب علينا اختيار تعريف أمثل، "حيث استخدم هيرودوت كلمة تاريخ في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث استقصى أعمال البشر، وأعرض عن أساطير الآلهة، معتمدا في ذلك على مبدأ العلة والمعلول"[4]، فالتاريخ يرتبط بالإنسان والأحداث المترسبة والآتية من أزمنة ماضية.

ويعرف أرسطو التاريخ، "أنه السرد المنظم لمجموعة من الظواهر الطبيعية"[5]، فالتاريخ حقيقة ما وقع في الزمن الماضي، وهو تنظيم للظواهر الطبيعية.

أما الناقد الفرنسي بيير باربريس P.Berberis فيشير لوجود في دراسته الموسومة "النص الأدبي والتاريخ لوجود ثلاثة معاني تتضمن الدلالة نفسها، والتي تحدد مفهوم التاريخ وهي"[6]:

---

[1]_ الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ت، ص05.

[2]_ ضيف شوقي، المعجم الوسيط، ص13.

[3]_ علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص75.

[4]_ ينظر: دراج فيصل: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2004، ص81.

[5]_ القاضي محمد: الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس2008، ص66.

[6]_ ينظر: جوادي هنية: التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات وسيني الأعرج، مجلة الخبر، ع 9، جامعة بسكرة، الجزائر 2013، ص255.

- التاريخ كواقع ومسار وصيرورة موضوعية، ما يجري في المجتمع من أحداث وتطورات وصراعات منفصلة عن الذات والنظرة الفردية.

- التاريخ كخطاب، ونوع معرفي يأخذ التاريخ كموضوع علمي وبحثي ويعطيه وجود عبر إجراءات خطابية ومفهومية.

- التاريخ كحكاية أو قصة أو أقاويل أو حكي أو سرد أدبي ما يقصه الأدب ويصوره النص، وتقييمه مادة تشكيل أدبي تملك بعدها التاريخي، بسبب اندراجها في سياق زمني.

أما ابن خلدون في تعريف التاريخ قال: "فن التاريخ في ظاهرة لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول وتصرف فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غضها الاحتفال،فهو بذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها"[1]، إن هذا التعريف يزاوج بين مفهومين للتاريخ أولهما أنه فن الإخبار عن الماضي، وثانيها أنه التأمل في حركة الوقائع، الماضية لإدراك قوانينها وآلياتها.

إن التاريخ كما يقول عبد الله العروي، "مجموع عوارض الماضي حاضرة بأخبارها، إذ الماضي التاريخي هو عالم ذهني يستنبط في كل لحظة من الآثار القائمة، أو بعبارة أخرى موضوع التاريخ هو الماضي الذي هو حاضر"[2]، إن التاريخ هو مجال الاستنباط، إذ المؤرخ يحمل في ذهنه كل الأخبار عن الماضي، وربط الماضي بالحاضر يؤذي إلى المعرفة التاريخية.

إن الإنسان بطبعه لا يستطيع العيش منغلقا على نفسه في الحاضر الذي يعيشه، بل إنه يعود إلى ماضيه كي يأخذ العبرة من حوادثه، أو أن يطمح في المستقبل لمحاولة تجسيد طموحاته، "فالتاريخ إذن علم ينصب على ماضي الإنسان، ويمثل بذلك محاولة الاستفادة من حدث فريد زال وانقضى، وذلك من خلال استنطاق الآثار والوثائق المرتبطة به، ومعنى ذلك أن الحادثة التاريخية لا يمكن التعرف عليها بشكل مباشر، بل يعتمد المؤرخ على المخلفات الدالة عليها، سواء كانت إرادية خلفها الإنسان كشاهد عليه للأجيال اللاحقة"[3]، فالإنسان لابد

---

[1] _ ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ج1، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس1989، ص30.

[2] _العروي عبد الله: مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول،ط4، المركز الثقافي العربي المغرب 2005، ص 38.

[3] _ المرجع نفسه، ص23.

أن يعود إلى ماضيه لاستحضار الحوادث التي مر بها، لشحن همته من أجل بناء مستقبله سواء كانت إيجابية أو سلبية، فهي تسدد طريقة ومنهجه في الحياة.

كما يعرف التاريخ بأنه، "خطاب نفعي يسعى إلى الكشف عن القوانين المتحكمة في تتابع الواقع"[1]، فالتاريخ يعمل على المادة الواقعية، فيكشف عن القوانين التي تتحكم في الأحداث والوقائع التي جرت في الماضي.

ويعرف التاريخ أيضا، "هو حكاية عن الماضي أو مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت، لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والإبداعي ومنه الأدب خاصة"[2]، وهذه الأحداث أو الوقائع التي حصلت في الماضي نجد بأنها تركت أثرا في حياة الإنسان، وهي التي تشير حاضره ومستقبله.

ثانيا_ خصائص التاريخ وشروط المؤرخ

الإنسان طموح بطبعه يحب المعرفة والاطلاع، فنجده يسائل حاضره ويكتشف ماضيه البعيد، فللتاريخ مجموعة من الخصائص قد ميزته عن العلوم الأخرى، كما طبع المؤرخ بجملة من الشروط المطلوبة والمميزة والتي سنذكرها على التوالي:

1.1/ خصائص التاريخ: يتميز التاريخ بحملة من الخصائص هي الآتي:

*** الموضوعية:**

يعتبر التاريخ، "علم موضوعي مبرّأ من الأهواء والمصالح، به أسانيده ووثائقه والجهود المتعددة التي أنجزت مناهجه"[3]، ويعتبر التاريخ علم موضوعي شريف، يبحث عن الحقيقة التاريخية النافعة التي تخدم الفرد والمجتمع.

*** النقد:**

كما أن التاريخ، "ليس علم تجربة واختبار، لكنه علم نقد وتحقيق"[4]، فالمؤرخ يدرس آثار الماضي ومخلفاته، ويستخلص ما يمكن استخلاصه عن الماضي والحاضر مبتعدا عن

---

[1] _ إبراهيم عبد الله: التخيل التاريخي، السرد، والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت2011، ص89.

[2] _ ماضي عزيزة شكري: في نظرية الأدب، ط1 المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 2005، ص15.

[3] _ دراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، ص82.

[4] _ عثمان حسن: منهج البحث التاريخي، ط8، دار المعارف، القاهرة ، د ت، ص17.

الذاتية والعواطف، محاولا تقصي الحقائق بالاستناد إلى الدلائل، فيتقبل بعضا وينقد بعضها الآخر بمحاولة البحث عن الحقيقة.

*** الاختصار والدقة:**

كتابة التاريخ تتطلب مراعاة حجم وعدد الكلمات، لتجنب الوقوع في الإطناب، فنلاحظ بأن التاريخ، "يحتاج إلى صيغة وضعية للتعبير عن طبيعة ظواهره المختلفة، وينبغي أن تكون الصيغة التاريخية مختصرة ودقيقة، وقد يوجد التعارض بين الاختصار والدقة فالأسلوب المختصر ربما يحول دون فهم المراد، والأسلوب المطول ربما يقلل من قيمة التاريخ المكتوب ويقدم للقارئ ما ليس ضروريا"[1]، فيجب العمل على الاختبار المناسب للحصول على الألفاظ التي تعبر عن غرض الدارس.

*** ناقل للواقع:**

ومن خصائص التاريخ أنه، "انعكاس وصياغة لفظية لأحداث واقعية"[(2)]، يعتبر كمرآة عاكسة وناقلة للواقع المعاش بصورة دقيقة ومفصلة، ومن جهة أخرى نجد بأن التاريخ يعتبر، "بمثابة الديكور الذي يؤطر الأحداث المتخيلة"[(3)]، فهو يعمل على وضع الأحداث المتخيلة في قالب محدد ،ومحاولة تصويرها بطريقة سهلة لإعادة إحياء الأحداث الماضية.

*** تحليل القضايا:**

الغاية من استحضار التاريخ هو دراسة أحوال الماضي، واستذكار سبب حفظه لأهميته البالغة، فيقول أحدهم في هذا أن غاية، "علم التاريخيات من ذكر أحداث مشهورة كانت من أزمنة خالية، أي لا تحدث إلا في الدهور المتطاولة كطوفان مخرب أو زلزلة مبيدة، أو وباء أو قحوط مستأصلة لأمم.."[4]، ومنه نجد بأن الأحداث التي يتم تقديمها هي عامل مساهم لمساعدة البشر من أجل فهم الحاضر، والوصول إلى فهم الحقائق.

---

[1] _ القاضي محمد، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، ص191.

[2] _ المرجع نفسه، ص86.

[3] _ المرجع نفسه، ص58.

[4] _ العروي عبد الله، مفهوم التاريخ: الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، ص35.

2.1_ شروط المؤرخ:

التاريخ في حقيقته، "لا يدرس ولا يكتسب اعتباطا، وليس كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخا"[1]، فبعض من الناس وبعض الكتاب، حينما يكتبون شيئا يدخل في إطار التاريخ فهذا لا يعني أن ما كتب هو تاريخ، فلابد أن تتوفر في المؤرخ الصفات الضرورية لدراسة التاريخ وكتابته، والابتعاد عن كل الصفات التي تجعله يبتعد عن الكتابة التاريخية الحقيقية وسنعرض أهم الشروط الواجب توفرها وهي كالآتي:

*** ضرورة اكتساب أدوات التأريخ:**

لابدّ لدارس التاريخ أن يُلمّ بجميع ما يمكن أن تكون له صلة به لأنه، "ينبغي على دارس التاريخ أن يتعلم الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يغيبه، ولابد له أن يعرف نوع المداد، مثل العلامات المائية والألياف التي تتضح عند تعرض الورق للضوء"[2]، أي ينبغي عليه المعرفة والإلمام بالعلوم الأخرى لكي تكون له موسوعة معرفية معتبرة.

*** امتلاك خلفية معرفية:**

والمؤرخ مرتبط بشروط لابد أن تتوفر في شخصه، "من الضروري للباحث في التاريخ ألا يكتفي بتحصيل ثقافته العامة أو الخاصة من الكتب أو المراجع فحسب، دون دراسته وخبرته بالحياة العملية ذاتها، سواء أكان ذلك في دائرة أهله وعشيرته، أم كان في نطاق قومه وبلده، أم في محيط دوائر أوسع وأعم في المجتمع الإنساني"[3]، أي أنه لا يقتصر على ملاحظات الباحث فقط، بل إنه يعتمد على ملاحظات الآخرين، فهو لا يقف عند مجرد الوصف بل يحلل ويفسر القضايا التاريخية السابقة، وفقا لخلفيات معرفية واسعة ومختلفة.

*** عدم تقيّد المؤرخ بمعايشة زمن تاريخي معين:**

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره تضاف خاصية أخرى هي أنه، "لا يجوز لدارس التاريخ أن يكون في عزلة عن البشر، حتى يصبح أقرب إلى فهمهم والكتابة عنهم، مهما بعّدَ بينه وبينهم الزمان، إذ أن الرابطة البشرية قائمة على الرغم من اختلاف الزمان والمكان"[4]، وهذا

---

[1] _ عثمان حسن: منهج البحث التاريخي، ط 8، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص18

[2] _ المرجع نفسه، ص30.

[3] _ المرجع نفسه، ص51.

[4] _ المرجع نفسه، ص86.

يعني أن يكون أكثر شمولا وعمقا واطلاعا على أبعد الفترات، فهو مطالب بدراسة الماضي والحاضر بحيث تتم دراسة المجتمعات في فترة زمنية معينة، ارتكازا على تقصي الحقائق والبحث عنها في الكتب وفي ذاكرات شهود الأعيان وغير ذلك من الوسائل، فالمؤرخ ليس مشروطا معايشته فترة ما ليصبح من حقه الكتابة عنها ودراستها.

المبحث الثالث: الرواية التاريخية

أولا_ مفهومها الاصطلاحي:

من أهم أشكال الرواية، الرواية التاريخية نعرج على تعريفها الاصطلاحي، بحيث تعتبر الرواية التاريخية ذات طبيعة مركبة، أي أنها جمعت بين أمرين، الرواية والتاريخ وكل محاولة لتعريفها لا تخرج عن هذين المفهومين، وقد وردت الرواية التاريخية في معجم المصطلحات الأدبية أنها، "رواية تستحضر ميلاد الأوضاع الجديدة، أو تصورها بداية ومسارًا وقوة دافعة في مصير لم يشكل بعد، فهي عمل يقوم على تواترات داخلية في تجارب الشخصيات تمثيلا لنوع من السلوك والشعور الإنساني في ارتباطها المتبادل بالحياة الاجتماعية والفردية، وتقوم كذلك باستخلاص فردية الشخصيات من الطابع التاريخي الخاص[1]"، فالرواية التاريخية هي نوع من الرواية يمتزج فيها التاريخ بالخيال، تهدف إلى تصوير عهد من العهود، أو حدث من الأحداث الضخام بأسلوب روائي صائغ مبني على معطيات التاريخ، فالرواية التاريخية هي توثيق الصلة بالماضي، تقوم على استحضار الشخصيات التاريخية والأحداث بصياغة جديدة تخدم متطلبات العصر.

كما يحضر مفهوم آخر في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة اعتبرت الرواية التاريخية أنها، "سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية، تنسج حولها كتابات ذات بعد إيهامي معرفي"[2]، فمرجعيتها الأساسية تنطلق من الواقع المعاش، ولكنها عمل إبداعي يهدف للوصول إلى أبعاد معرفية كمحاولة لتحقيق ما يجب أن يكون.

اختلف الباحثون في تحديد مفهوم الرواية التاريخية، كونها تجمع بين حقلين مختلفين الرواية والتاريخ، فنجد الباحث "جورج لوكاتش" يعرفها فيقول: "إنها رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون، بوصفها تاريخهم السابق للذات بوصفها تاريخهم"[3]،

---

[1] _ فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ص177.

[2] _ علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص103.

[3] _ دراج فيصل، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، ص263.

إن الرواية التاريخية حسب تعريفه تستمد مرجعيتها من الحاضر، وتنقل مجريات الواقع والأحداث التاريخية الماضية.

ويؤكد لوكاتش George lukacs فكرته من خلال تعريف آخر للرواية التاريخية بقوله: "إن ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعوري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن تعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدّت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي"[1]، الرواية التاريخية مهمتها ليست إعادة استحضار التاريخ كما هو، بل تحاول معالجة الأحداث بطريقة إنسانية، لتجنب الوقوع في نفس أخطاء السابقين.

ويعرفها "ألفريد شيبار Alfred sheppar " بقوله: "تتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن شرط ألا يستقر هناك لفترة طويلة، إلا إذا كان الخيال يمثل جزءا من البناء الذي سيستقر فيه التاريخ"[2]، وهذا التعريف يبين لنا أن الرواية التاريخية عودة للماضي، ولكن بغية إنتاجه مجددا يتجاوز حدود التاريخ وإحيائه عن طريق التخيل واللغة.

كما عرفها الأديب والناقد سعيد يقطين فقال: "كون الرواية التاريخية عملا سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخييلية، حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات تاريخية، وأننا في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدمة بطريقة إبداعية وتخييلية"[3]، فالروائي يتعامل مع الوقائع والأحداث بشكل مغاير عن المؤرخ ويلتزم بعرض الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية بطريقة فنية إبداعية.

أما الباحث نضال الشمالي فيؤكد أن الرواية التاريخية تستمد أحداثها من التاريخ "فهي تبنى حكائيا على التاريخ، وتقتات عليه وتشكل منه وتضيف عليه وتختزل منه، وتتصرف فيه لكنها ليست تاريخها"[4]، فالرواية التاريخية تختلف عن التاريخ رغم أنها تبنى على أحداث

---

[1] _ لوكاتش جورج: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق1986، ص46.

[2] _ سالمي محمد: جدلية الفني والتاريخي في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة،2016/2015، ص14.

[3] _ يقطين سعيد: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2012، ص159.

[4] _ الشمالي نضال: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن2006، ص107.

تاريخية، فالتاريخ يركز على ما كان سابقا، أما الرواية تقتات عليه فالرواية التاريخية تجمع بين عملين مختلفين هما الرواية والتاريخ، "فإذا كان التاريخ رواية ما كان، الرواية هي رواية ما يجب أن يكون"[1]، فالتاريخ يعلمنا عن مجموع الوقائع التي جرت في الماضي، أما الرواية فهي تعمل على تحريك العمل الفني وما يجب أن يقدم للقارئ بعيدا عن التكليف والتعقيد.

وفي تعريف للرواية التاريخية، "أنها تجمع بين التخييل والواقع التاريخي للنص، ومن ثم فإن اجتماع المخيل والواقعي فيها على أساس التفاضل ينتج كونا خياليا تضمحل فيه العلاقة التقابلية القائمة على الانعكاس وتحل محلها علاقة تنافر تقوم على الحوار"[2]، فالرواية تخضع الخطاب التاريخي لسيطرتها، فتعمل على تقديمه بطريقة جديدة تتناسب مع طبيعة الخطاب الروائي لإخفاء الحدود الفاصلة بينهما، فيتداخلا في كيان إبداعي جديد.

هذا التعريف يقودنا إلا أن، "الرواية أقرب الفنون الأدبية إلى التاريخ"[3]، ووفقا لذلك تكون الرواية التاريخية عملا فنيا يتخذ من التاريخ مادة له.

ثانيا_ خصائصها:

جمعت الرواية التاريخية بين أمرين هما: الرواية والتاريخ، فالفن مادة التدوين التاريخي والتاريخ يشترك مع الفن، وقد تميزت الرواية التاريخية بخصائص أهمها:

*** المزاوجة بين التاريخ والفن:**

"تزاوج الفن والتاريخ بدرجة واضحة، ولم تعد للتاريخ السطوة والسيطرة على الرواية وإنما صار للخيال الفني والتجربة الإنسانية دور كبير في بناء الرواية"[4]، حيث اختص الأديب في دراسة التاريخ، وسمت الرواية التاريخية بطابع فني إنساني له مغزى وهدف محدد.

---

[1] _ نورة بعيو: أشكال وتقنيات توظيف المادة التاريخية في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الخطاب، ع9، جامعة تيزي وزو2015، ص41.

[2] _ إبراهيم عبد الله: المحاولات السردية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان2012، ص80.

[3] _ ماضي عزيز شكري، في نظرية الأدب، ص151.

[4] _ هندي إسماعيل حسن سالم: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دراسة في البنية السردية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأدرن2014، ص40.

*** الموضوعية:**

الموضوعية من خصائص الرواية التاريخية، "أنها تصور عالما فعليا مأهولا تماما مثل عالم الماضي الذي تمثله[1]، فالرواية التاريخية تسعى جاهدة أن تكون موضوعية عن طريق مخاطبتها وضعا تاريخيا بكل تفاصيله وذلك بالرجوع إلى الماضي التي تمثله.

*** الخطابية:**

الرواية التاريخية، "تشترك مع التاريخ في كون كل منها خطابا، وهذا الخطاب في الحالتين مرتبط بالماضي، يعلن فيه المؤرخ أنه مجرد ناقل موضوعي لما وقع ويعلن الروائي راوٍ لأحداث جرت وإن أهملها المؤرخون"[2]، ويثير هذا الوضع قضيتين أن التاريخ يقدم على أنه انعكاس لأحداث واقعة، أما الرواية فتقدم على أنها إبداع وإنشاء لعالم محتمل.

*** التناصية:**

للرواية التاريخية صلة بالنصوص التاريخية، "هي صلة تناص يكون فيها التاريخ نصا سابقا والرواية نصا لاحقا"[3]، فالرواية والتاريخ يمتلكان نصين، جاز لنا أن ننظر في العلاقة بينهما من خلال النص التاريخي الماضي، والرواية كنص في الحاضر، فنحن نلمس في كل رواية تاريخية تقاطع بين ضربين من الأخبار، أخبار موروثة عامة ترد فيها الأمكنة والشخصيات والوقائع حاملة أسماء ذات وجود مستقل.

كما نلمس في كل رواية تاريخية تواجد نوع من الجدل، "بين نصين نص قديم تستحدثه القراءة، ونص جديد ينشأ من السجال بين الماضي والحاضر والآن والغير"[4]، فهي تثير قضايا متعددة أهمها حدود الفن والواقع والجمال المرجعي والماضي الحاضر، وبهذا بأنها ضروب من العلاقات فالرواية يمكن أن تكون عادة للتاريخ.

---

[1] _ هندي إسماعيل حسن سالم، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص20.

[2] _ المرجع نفسه، ص86.

[3] _ المرجع نفسه، ص104.

[4] _ القاضي محمد، الرواية والتاريخ، دراسات في التخييل المرجعي، ص80.

*** تزاوج التخيل والواقع:**

كما أن الرواية التاريخية، "تجمع بين التخيل والواقع النصي"[1]، فالروائي يبدع كونا خياليا يتكون من عناصر متخيلة، وعناصر واقعية، ومنه اجتماع المتخيل والواقعي.

فالرواية التاريخية، "تزاوج عادة بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة"[2] وذلك عن طريق إسناد أعمال لا تاريخية إلى الشخصيات التاريخية، وأعمال تاريخية تنسب لشخصيات متخيلة، فالشخصية في الرواية التاريخية تتقاطع فيه التاريخي والروائي.

*** الرواية التاريخية لسان الحاضر:**

الرواية التاريخية في طبيعتها، "ناطقة بهموم الحاضر، لا بمشاغل الماضي وهو ما يفسر اقتحام كتاباتها مناطق التجريب والمخاطرة"[3]، فالتجريب في الرواية التاريخية يكون في تكسيرها الخطاب التاريخي واثبات نسبيته، وإعادة كتابته وملء فراغاته.

كما أن الرواية التاريخية، "تربط بين الماضي والحاضر، على وفق رؤية فنية شاملة فيهما من الفن روعة الخيال، ومن التاريخ صدق الحقيقة"[4]، فالروائي يربط بين الأحداث التاريخية الماضية والحاضرة، من خلال اختيار وتصوير وإعادة خلق الوقائع التاريخية من وجهة نظره، فتصير حقيقة فنية بعدما كانت حقيقة تاريخية.

وتتميز الرواية التاريخية بخصوصية معينة، "أنها تتعامل مع الماضي الذي يربطه الفن بالحاضر، وليس الماضي المطلق"[5]، فكاتب الرواية التاريخية لا ينقل الأحداث التي وقعت لتصحيحها بل إن دافعه من استحضارها أن نأخذ منها عبرة.

ثالثا_ أعلامها:

1.3_ أعلام الرواية التاريخية الغربية:

نشأت الرواية التاريخية في أوروبا مطلع القرن التاسع عشر، وذلك زمن انهيار نابليون تقريبا، فقد أدت الثورة الفرنسية إلى انتشار الفكر الثوري وبلورة الجنس الروائي وزيادة

---

[1] _ القاضي محمد، الرواية والتاريخ، دراسات في التخييل المرجعي ، ص81.

[2] _ المرجع نفسه، ص36.

[3] _ المرجع نفسه، ص184.

[4] _ هندي إسماعيل حسن سالم: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دراسات في البيئة السردية، ص22.

[5] _ المرجع نفسه، ص21.

الاهتمام بالتاريخ والاستفادة منه، فقد ظهر باحثون اهتموا بهذا الجنس وأعلنوا ميلاد الرواية التاريخية من بينهم:

* **والترسكوت** Walter scott:

ظهرت الرواية التاريخية أول مرة على يد والتر سكوب، "الذي يعد رائد الرواية التاريخية بظهور روايته الأولى ويفرلي(Waverly) عام 1814م، التي أعقبها بعدد آخر من الروايات التاريخية، مستوعبا فيها التاريخ الإسكتلندي خاصة والإنكليزي والأوروبي عامة"[1] فاعتبر النقاد أن الرواية التاريخية بمعناها ظهرت مع والترسكوت الذي استطاع توظيف التاريخ الإسكتلندي والتاريخ الأوروبي عامة في رواياته، بطريقة فنية جعلته الأدب الحقيقي للرواية التاريخية في الغرب.

عدّ "والتر سكوت" رائد في مجال الرواية التاريخية من الناحية الفنية، لأن ما كتبه، "ليس سرد لحوادث التاريخ بل وصفا للتجربة الإنسانية وعاداتها وأخلاقها في ضمن حقبة تاريخية معينة"[2]، فالرواية التاريخية عمل أدبي لا يختلف عن الأعمال الأدبية، فهي تهتم بالإنسان وتحليله اجتماعيا، وتنقل مرحلة حية من المراحل، أو لشعب من الشعوب.

وقد تأثر بأدب سكوت أسماء معروفة في عالم الأدب، "أولهم كاتب الرواية الفرنسي الكسندر دوماس ويلزاك، الذي يعترف بفضل سكوت في مجال الرواية التاريخية، إذ استطاع رفع الرواية إلى مصاف القيمة الفلسفية للتاريخ، ومن ثم تأثر به أدباء آخرون، أمثال الفريدي فيني وماريميه وهيجو وستاندال، وفي إيطاليا ماتروني وفي ألمانيا زلكيه، وفي روسيا تولستوي وغيرهم كثير، حتى ليمتد تأثيره إلى الرواية التاريخية العربية ممثلة بجرجي زيدان في بدايتها"[3]، الرواية التاريخية قد تجلت معالمها عند والترسكوب الذي اعتنى بالخلق والخيال.

* **ويليام اليكسيس** William Alexis :

الكاتب الألماني الذي يتمسك بتقاليد سكوت، فيعتبر اليكسيس، "واقعي تاريخي حقيقي تبرز هذه السمات الصغيرة بقوة في كتاباته، مؤثر في كل من الحبكة وخلق الشخصيات الروائية، وسالبة أعماله المتصورة بشكل جميل، والمرسومة بشكل جيد من تلك الشمولية

[1] _ هندي إسماعيل حسن سالم، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص24.

[2] _ المرجع نفسه، ص22.

[3] _ المرجع نفسه، ص25.

والإقناعية، اللتين تمتعت بهما روايات سكوت"[1]، فالبرغم من مواهبه فهو يبقى أسير في العالم المحلي، ومختلف رواياته تمتاز بخلق الشخصيات الروائية.

*** مانزوني Manzoni :**

وفي إيطاليا ظهر روائي أبدع في كتابة الرواية التاريخية، "بروايته المخطوب الذي قد اعترف سكوت بعصمة ماتروني، وحين قال له مانروني في ميلانو بأنه، تلميذه أجاب سكوت بأن رواية في هذه الحالة أفضل أعماله"[2]، فمانزوني رغم أنه تلميذ سكوت إلا أنه تفوق عليه، فهو فنان أعظم من سكوت، فأبدع في روايته، وتميز بالدقة والصدق التاريخي.

الروائي مانزوني فنان عظيم، "فقد اكتشف أيضا موضوعا مكنه من التغلب على ملاءمة التاريخ الإيطالي الموضوعية، وعلى خلق رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات"[3]، فمانروني موضوعه الأساسي هو أزمة تاريخ وطني أو بالأحرى التاريخ الإيطالي، وعرض مأساة الشعب الإيطالي وهو في حالة من التدهور.

*** بوشكين Boshkin :**

أما في روسيا فقد ظهر بوشكين، بحث نجد في روايته التاريخية التي يكتبها، "دراسة عميقة جدا في مبادئ التركيب عند سكوت، وطبيعي أن بوشكين ليس مجرد تلميذ لسكوت بل على العكس فإن تأثير سكوت في بوشكين، يكمن في تعزيز الاتجاه الشعبي المتواجد فعلا عند بوشكين"[4]، فبوشكين متأثر بمعلمه سكوت إلى درجة كبيرة، فهو يبني رواياته التاريخية بنفس طريقة سكوت، فأراد بوشكين أن يصور في رواياته التاريخية، نقاط تحول هامة وحاسمة في الحياة الشعبية.

---

[1] _ لوكاتش جورج، الرواية التاريخية، ص88.

[2] _ المرجع نفسه، ص89.

[3] _ المرجع نفسه، ص90.

[4] _ المرجع نفسه، ص93.

2.3_ أعلام الرواية التاريخية العربية:

ظهرت الرواية التاريخية وازدهرت وتطورت في بلاد الغرب، هذا ما أثر على ظهورها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد شهد الوطن العربي إقبالا على الرواية التاريخية ومن بين الأوائل الذين اهتموا بهذا الفن نذكر منهم:

* سليم البستاني:

يعتبر سليم البستاني من الباحثين الذين تأثروا بالرواية التاريخية العربية، فكان أول ظهور للرواية التاريخية في لبنان، "فكتب رواية زنوبيا سنة 1875م، التي تصور موجات الصراع الذي دار بين ملكة تدمر، وبين الرومان في القرن الثالث، ثم كتب قصة بدور سنة 1872م، التي تدور أحداثها حول أميرة أموية تقع في حب ابن عمها عبد الرحمن الداخل مؤسس دولة بني أمية في شبه جزيرة الأندلس، وكتب بعد ذلك الهيام في فتوح الشام سنة 1874م، وجعل أحداثها تدور حول فتح بلاد الشام في عصر الخلفاء الراشيدين"[1]، فسليم البستاني من خلال رواياته الثلاث: زينوبيا وبدور، الهيام في فتوح الشام، أهلته أن يكون رائد الرواية التاريخية في الأدب العربي، فوظف واستحضر التاريخ في رواياته.

ولاشك في أن سليم البستاني قد تأثر بالرواية الغربية، "فلعل عمله مترجما رسميا في القنصلية الأمريكية قد مكنه من الإطلاع على جوانب كثيرة من الفن القصصي في اللغة الإنغليزية، وكشف له عن تيار حديث يوجه الفن القصصي في أوروبا أو أمريكا وجهة خاصة إلا أن تأثيره هذا كان في الاتجاه والشكل الخارجي فقط، ولم يتطور ليستعمل المعيار الفني للرواية"[2].

* جورجي زيدان:

مثل جورجي زيدان نقطة تحول وانطلاق حقيقي للرواية التاريخية في الأدب العربي "إذ استطاع جورجي زيدان الذي بدأت حياته مؤرخا، نقل الرواية التاريخية خطوة إلى الأمام من المحاولة الفردية القائمة على التسلية والترفيه، إلى الرواية ذات الهدف التعليمي الاصطلاحي"[3]، ويعده معظم النقاد رائد الرواية التاريخية في الأدب العربي، لأن رواياته

---

[1]_ طبيل محمد محمد حسن: تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة 2016/2015، ص18.

[2]_ المرجع نفسه، ص 18

[3]_ هندي إسماعيل حسن سالم، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دراسة في البنية السردية، ص32.

أفضل حالا وأكثر تماسكا من الروايات التي سبقتها من الناحية الفنية والموضوعية، وتقوم رواياته على أساس من النظرة التعليمية، إذ أراد جورجي زيدان تعليم التاريخ في ثوب القصة ليكون القراء أكثر ميلا وتقبلا لقراءة التاريخ حسب رأيه.

*** محمد فريد أبي حديد:**

حاول أبي حديد استلهام التاريخ العربي والإسلامي، "فكاد يكون متخصصا في تاريخ العرب قبل الإسلام، وكتب سلسلة من الروايات تخص هذه الحقبة، زنوبيا1941، الملك الضليل 1945م، المهلهل سيدر بيعة 1944م، وعنتره 1947م، وكتب بعد ذلك روايات أكثر تعقيدا وتركيبا في فنها إذ تجمع إلى موضوعيتها شيئا من الرمز والفلسفة في تصوير العصر"[1]، حاول أبو حديد تطوير الرواية التاريخية في مضمونها وشكلها الفني، فهو لا يعهد إلى التسجيل التاريخي، بل يعطي للتجربة الإنسانية دور كبير في بناء الرواية.

*** نجيب محفوظ:**

نجيب محفوظ في رواياته الأولى، "عبث الأقدار وراديس 1943م، وكفاح طيبة 1944م حاول في هذه الروايات أن يستعيد مجد بلاده، عن طريق تصوير ووصف الأصول الحضارية التي انحدروا منها، ورواياته عموما يمتزج فيها الفكر الثوري بالشكل الفني الممتاز، وهي تتجاوز مجالها التاريخي لتعيش اللحظة الآتية بجميع مؤثراتها"[2]، فنجيب محفوظ اتخذ من التاريخ وأحداثه رمزا لمعالجة قضايا المجتمع، فالفن عنده عمل خلاق يساعد على فهم الواقع وإعادة بنائه والرواية أسلوب نضال وكفاح.

من الكتاب العرب الذين كتبوا في الرواية التاريخية، "محمد عوض بروايته سنوحي 1943م، عادل كامل بروايته ملك من شعاع 1945م، جمال الشيال مصر والشام بين دولتين داوود سلوم بروايته عهد مضى 1958م، وغيرهم من الروائيين"[3]، وهكذا عبرت الرواية التاريخية عن التيارات الفكرية المختلفة والتي كان يموج بها الواقع، وصور الكتاب المركب التاريخ تصويرا فنيا جديدا، وكذلك الشخصيات التاريخية.

---

[1] _ هندي إسماعيل حسن سالم، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص41.

[2] _ المرجع نفسه، ص43.

[3] _المرجع نفسه، ص44.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: بين التاريخي والفني في رواية الرايس

المبحث الأول: الشخصية

أولا: مفهومها

ثانيا: أبعادها

ثالثا: الشخصية تاريخيا وفنيا

المبحث الثاني: المكان

أولا: مفهومه

ثانيا: أهم أنواع المكان في رواية الرايس

ثالثا: المكان تاريخيا وفنيا

المبحث الثالث: الحدث

أولا: مفهومه

ثانيا: الحدث تاريخيا وفنيا

تمهيد:

تعتبر الشخصية مع المكان والحدث من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها البناء الروائي، وهي مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها حركية هذا العمل الإبداعي.

وقد أردنا التطرق لكل عنصر على حدة، من أجل التمكن من فهم هذه الأساسيات فبدأنا بالشخصية كونها من المقومات الأساسية، فبدونها لا تظهر ملامح الرواية، وبعدها تطرقنا إلى الحديث عن المكان لكونه الحيز الذي تجسدت فيه كل الظروف والأماكن الواقعية والخيالية والتي تناسب طبيعة بناء الرواية، ثم كان للحدث نصيب من هذه الدراسة كونه النظام الذي يجعل من الرواية بناء متكاملا، من خلال تطور مجريات الرواية وحركات الشخصيات، فهما مرتبطان بشكل كبير.

المبحث الأول: الشخصيات

أردنا أن نتطرق إلى مفهوم الشخصية على المستويين اللغوي والاصطلاحي ونبدأ بالمفهوم اللغوي.

أولا_ مفهوم الشخصية:

1.1/ في اللغة:

لقد تعددت تعريفات الباحثين لمفهوم الشخصية، كل حسب اتجاهه وتخصصه، ومن بين التعريفات التي تناولناها، أن الشخصية هي، " ما ورد في لسان العرب لابن منظور: "شخص: الشخص جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشيخاص... وكل شيء رأيت جسمانه، وقد رأيت شخصه. الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات"[1]، وذلك يعني أن الشخص هو كل ما يرى أي الصفات الخارجية للإنسان وكل ما يميزه عن غيره.

كما ورد تعريف آخر في مختار الصحاح فقيل: "ش خ ص – (الشخص) سوادُ الإنسان وغيره تراه من بعيد، وجمعه في القلة (أشخُصٌ)، وفي الكثرة (شُخُوصٌ) و(أشخاص) و(شخص) بصره من باب خضع فهو (شاخص): إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف، و(شخص) من بلد إلى بلد أي ذهب، وبابه خضع أيضا و(أشخصه) غيره"[2] وهي تعني الخضوع للأمر وتقبله.

وقد ورد تعريف الشخصية في معجم الوسيط أنها، "صفات تميز الشخص عن غيره. ويقال: فلان ذو شخصية قوية: ذو صفات متميزة وإدارة وكيان مستقل"[3]، أي أنها السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض .

---

[1]_ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مج7، ط5، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان 1992م، ص45 ـ 46.

[2]_ الرازي أبي بكر محمد بن شمس الدين، مختار الصحاح، ص 140 .

[3]_ ضيف شوقي، المعجم الوسيط، ص 475.

1-2/ في الاصطلاح:

لقد اختلفت مفاهيم الشخصية الروائية فعرفت بأنها، "ليست سوى مجموعة من الكلمات لا أقل ولا أكثر، أي شيء اتفاقي أو خديعة أدبية، يستعملها الروائي عندما يخلق شخصية ويكسبها قدرة إيحائية كبيرة، بهذا القدر أو ذاك"[1]، أي أن الشخصية الروائية هي تجسيد للخيال الفني للأديب، فهي قد تمثل شخصيات حقيقية، لكنه يضيف عليها الخيال لتحقيق غاية المؤلف.

ورد مفهوم آخر للشخصية في الرواية الجديدة بأنها، "ما هي سوى كائن من ورق لأنها منتوج الخيال الفني لروائي ومخزونه الثقافي، الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ يضخم في تكوينها وتصويرها، بشكل يستحيل أن يكون انعكاسا لشخصية واقعية، وإنما هي شخصية ورقية من اختراع خيال الروائي أو الكاتب، بدأ دورها في الرواية الجديدة ، يضمر ويتراجع شيئا فشيئا حتى أوشك أن يختفي نهائيا"[2]، أي أنها تمثل الصورة المخزنة في ذهن الكاتب، وهي عبارة عن نتاج خيالي منعكس عن شخصية واقعية، أو يمكن أن لا يكون لها وجود من الأساس بل هي اختراع المخيلة الفنية فقط.

تعتبر الشخصية من الركائز الأساسية التي ينبني عليها العمل الروائي، "مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص، أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها وسلوكها. وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع"[3]، الشخصية عند الأدباء هي عنصر أساسي في بناء الرواية ونجاحها فهي عبارة عن صورة مصغرة للعالم الواقعي، فهي توصف وصفا دقيقا داخليا وخارجيا ويمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي أو ما يرد على لسان الشخصيات الأخرى.

إن الشخصيات الروائية هي التي، "تشمل بصفة عامة الأفراد الواقعيين أو الخياليين الذين تدور حولهم أحداث الحكاية أو القصة، على أساس أنه لا يوجد فعل بدون

---

[1] _ بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي لفضاء – الزمن – الشخصية ، ص 213 .

[2] _ مرتاض عبد المالك: في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ص 38 .

[3] _ الحمداني حميد: بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، ط1، المركب الثقافي للعربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1991م، ص 51.

فاعل، فلا يوجد أيضا سرد بدون شخصيات"[1]، فالشخصية هي العصب الأساس الذي تقوم على أساسه الأحداث الروائية وهو الذي يجسد تلك الأحداث.

كما ورد تعريف آخر بحيث تعد الشخصية، "المصدر الرئيس للظواهر الإنسانية التي تشمل في معظمها الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية والنفسية، التي يتفاعل بعضها مع البعض الآخر، لتحقيق ذاتيتها وأسلوبها الخاص للتكيف مع البيئة الاجتماعية"[2]، وبالتالي فهي تمثل الصورة المثالية التي تتماشى وتتكيف مع الظواهر الاجتماعية.

وفي تعريف آخر وردت فيه الشخصية كعنصر فاعل في العملية الإبداعية، بحيث عدّت بأنها، "عصب الحياة في النصوص السردية جميعا، كالرواية والقصة وغيرها من السرود الأخرى ومحور الحركة فيها، وهي التي تقوم وتفعل وتفكر وتقود الرواية، خاصة من بدايتها إلى نهايتها"[3]، فهي الأساس الذي تقوم عليه الأعمال الأدبية، بحيث تحاول اختيار ما يتناسب مع متطلبات العمل الفني وتجسيده في ملامح الشخصيات.

ثانيا/ أبعاد الشخصية :

تعتبر الشخصية العصب الأساس الذي تتبني عليه الأحداث في الرواية، ومن أجل التعرف على الشخصيات وفهمها قمنا بتقديم أهم بعدين لها وهي كالآتي:

أ_ البعد الخارجي:

وهو البعد الذي يتحدد من خلال الصفات الخارجية فهو، "الذي يصف مظهر الشخصية الخارجية من طبيعة الجنس والملابس وغيرها، وقد تحدد الملامح الخارجية بتحديد عام وقد يكون مفصلا "[4]، فهو يهتم بوصف الملامح والمظاهر الخارجية ووصف الشخصية وصفا دقيقا لإبراز ملامحها.

---

[1] _ بعطيش يحيى: خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة ، مجلة كلية الآداب واللغات، ع 8 ، جامعة بسكرة 2011، ص 6 .

[2] _العبيدي سلمان سناء: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعد المالح، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2015م، ص16

[3] _ المرجع نفسه، ص 18.

[4] _ المرجع نفسه، ص 150.

ب_البعد الداخلي:

يتمثل هذا البعد في الطابع الذي يميز الشخصية عن غيرها، فهو يمثل الحالة الشعورية والنفسية، فهو عبارة عن، "عمليه إبراز الصفات لنفسية للشخصية مهمة، ولا سيما عند كاتب الرواية، لأنها أقرب إلى توضيح حالته النفسية، إذ إنها تعتمد على موقف الشخصية المتأزم فهي تجسد معاناتها النفسية في العمل الروائي، إذ تعكس أعمالها وحركاتها وأفعالها حالتها النفسية"[1]، فهي محاوله للكشف عن السمات النفسية وأنماط السلوك والفكر الخاص بالشخصية وتحليلها.

ج_البعد الاجتماعي:

يظهر هذا البعد نتيجة عن العلاقة القائمة بين الشخصية وغيرها من الشخصيات الأخرى حيث، "يأتي البعد الاجتماعي للشخصية انطلاقا من ماهيتها، فهي ملامح وتكوينات وهواجس ومؤثرات وتأثيرات ضمن بيئة اجتماعية على وفق عوامل عدة، إذ تقدم الشخصية بالاسم أو اللقب أو بصفة أخرى"[2]، وذلك يعني ارتباط العمل الروائي بالبيئة الاجتماعية التي أنتج فيها، كمحاولة لتصوير الواقع المعيش .

ثالثا _ الشخصية تاريخيا وفنيا.

ان راواية "الرايس" لهاجر قويدري هي بمثابة نص سردي يوضح التاريخ من منظور معاصر، حيث يجد الباحث صدى لمحاولة كتابة التاريخ في الرواية العربيةالمعاصرة بوصفها لتاج الحركة الثقافية في المجتمع من جهة، وحقلا ثقافيا مهما في انتاج الوعي الثقافي من جهة أخرى، لتجعل الكاتبة من شخصية "الرايس حميدو" محور نصها السردي فهو احد رياس البحر الجزائريين المشهورين بشجاعتهم واقدامهم، ولو أنه لم يأخذ مساحة سردية كبيرة بسبب الأسلوب السردي للرواية الذي يعتمد على تناوب الحكي بين مجموعة من الشخصيات المرتبطة بالرايس وهي بعيدة عنه مما يجعل من شخصية حميدو ضلا في الرواية.

لقد تعددت الشخصيات في رواية الرايس، ووردت أسماء منتقاة من التراث الجزائري وأخرى أجنبية وهي الآتي:

---

[1] _ العبيدي سلمان سناء، الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعد المالح، ص 176 .

[2] _ المرجع نفسه، ص176.

أ_ الرايس حميدو :

حميدو هو شخصية تاريخية خلف صيتا واسعا وترك أثرا كبيرا، مما جعل الجميع يحترمه ويهابونه حتى بعد وفاته؛ اسمه الكامل هو محمد بن علي شاب جزائري عرف بحبه للبحر ومعروف لدى الجميع بأنه، "القرصان الذي اشتهر باسم الرايس حميدو، كان من أصل جزائري ولد بالجزائر العاصمة سنة 1770"[1]، لقد كان حبه للبحر منذ صغره؛ فعلى الرغم من صغر سنه إلا أنه قد توجه إلى البحر، فكان يتردد على السفن ويشارك البحارة في رحلاتهم، وقد أصبح حميدو "رايس" في سن الخامسة والعشرين، وترقى من بحار إلى ضابط حتى أصبح أميرا للبحر ولقب بـ " الأميرال"*

لقد وفقت الروائية في اختيار هذه الشخصية التاريخية "حميدو" وجعلت منه الشخصية البطلة في روايتها، وقد أولتها اهتماما كبيرا في محاولة منها لإسقاط تاريخ هذه الشخصية على الواقع المعاش، كمحاولة لمواجهة الظلم وتغيير النظام السائد، فهو قد عرف بحب وطنه وسعيه من أجل تحريره، وقد حضر في الرواية في حديث السارد قول علي طاطار، "لا أعرف لماذا يكنّ الجميع هذه المودة لحميدو رغم صغر سنه، إنه في مثل عمري بالكاد على عتبة العشرين، كيف كسب كل هذه الشعبية؟ لا شك أن حياته هنا قبل أن ينتقل إلى أرزيو كانت مدعاة للتقدير"[2]، فقد توالت انتصارات حميدو وإنجازاته لأجل المحافظة على أمن وطنه أثناء الحكم العثماني، لأن في تلك الفترة التي عاصرها، كانت الجزائر معرضة للاحتلال دائما فأغلب الدول الأوروبية كانت تستهدفها من أجل احتلالها ونهب ثرواتها.

على الرغم من صغر حميدو إلا أنه قد نجح في اثبات ذاته، "فالرايس حميدو الذي كان أبوه خياطا، عرف بأنه كان يبحر على متن سفينة قرصنة كخادم في غرفة الضباط ثم تقدم عبر مراحل الاستحقاق والخدمة ووصل إلى مرتبة بحار ثم زميل ثم ضابط وأخيرا رايس وهذا قبل تسلمه لقيادة الأسطول"[3]، لقد استطاع حميدو فرض داته وضمان مكانته ضمن

---

[1] _ تابليت علي: الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية 1770 _ 1815، د ط ، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر 2006، ص 3.

*الأميرال: هو قائد أسطول بحري واللفظة منحوتة (أمير بحر) .

[2] _ قويدري هاجر: الرايس، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان 2015، ص 42.

[3] _ وليام سبنسر: الجزائر في عهد الرياس البحر، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006م، ص 74.

رياس البحرية الجزائرية على الرغم من التهميش الذي كان مفروضا أنداك لفئات الشعب التي لا تملك جذور وأصول عثمانية.

إن شخصية حميدو في حقيقتها تعتبر حلقة وصل، فهو يجمع بين باقي شخصيات الرواية؛ فقد كان له دور فعال في بناء أحداث الرواية وتطويرها، فقد نجحت الكاتبة في إبراز السمات والصفات التي تميز "حميدو" عن غيره، فقد ورد في حديث مريم وهي تصف حميدو فقالت: "عدت بالعمر إلى سن الخامسة، عندما أتى حميدو إلى زيارتنا صيفا، لقد خطفتني عيونه منذ النظرة الأولى، لأنها كانت بلون البحر، ولم أكن أشبع البحر رغم الأمتار القليلة التي تفصل بيتنا عن شاطئه"[1]، لقد عُرف حميدو بأنه يتمتع بملامح رجولية وصارمة تعكس مكانته وهيبته.

ونجد أيضا أن شخصية حميدو قد طبعت بصفات جعلتها متميزة جداً، مما جعل المقربون إليه يحبونه ويقدرونه، فبالإضافة إلى أنه يتمتع بشخصية محبة للعدل والسلم كذلك قد برز البعد الإنساني، الذي ميزه عن غيره فحبه لوالديه وتقديره لهما كان غير محدود أضف لذلك حب أصدقائه ووفائه، فقد كانت هناك صداقة قوية تجمع حميدو بـ "خير الدين" استمرت منذ الطفولة، وقد حضر في حديث السارد قوله: "لا أعرف كيف أصدق أن خير الدين قد غادرنا وإلى الأبد، وكيف سيتمكن حميدو من ابتلاع ألم كهذا، لقد كان بالنسبة إليه سندا وحيداً في هذه الإيالة المليئة بالمكائد والبغضاء"[2] ، لقد جمعتهما صداقة قوامها الوفاء والصدق استمرت منذ الطفولة، فقد كسرا حواجز الفروق الاجتماعية ولم يعيراها اهتماما.

مقارنة واقعنا المعاش بالتاريخ الجزائري في العهد العثماني يوضح حجم الشرخ الذي أصاب هياكل الإدارة وغياب الوعي السياسي في تسيير هذه البلاد فلقد، "اكتشف الجزائريون أنهم كانوا يحكمون من طرف سلطة قمعية وظفت كل معاني الطغيان والاستبداد والفساد غير الظاهر، والذي تجلى تدريجيا بعد دخول جهاز العدالة في كشف ملفات ثقيلة أظهرت لاحقا تورط قيادات وزارية وسياسية وحزبية وأمنية في خط الاجرام المالي والتجاري العابر للقارات"[3]، بعد مرور شهور من انطلاق الحراك الجزائري تمكن الشعب من إسقاط قناع السلطة السياسية وإسقاط النظام الظالم الذي استمر لسنوات دمر البلاد والعباد.

---

[1] _ وليام سبنسر، الجزائر في عهد الرياس البحر، ص 19.

[2] _ قويدري هاجر، الرايس ، ص48.

[3] _ بوحنية قوي، الحراك السياسي في الجزائر، من إسقاط السلطة إلى الخروج الآمن، مركز الجزيرة، للدراسات، 07أغسطس 2019، ص04.

إن مقارنة هذه الأحداث المعاصرة وكشف النظام الفاسد يشبه مع حصل مع الدايات في الحكم العثماني، ونذكر ما حصل مع الداي أحمد باشا عندما تخلص منه الجيش الانكشاري ما ورد في رواية الرايس، "إن نهاية مشابهة لكل ملوك الجزائر، إلا أن هذا الداي كان جشعا أكثر من الجميع، لقد فرض الضرائب على كل الدول تقريبا، وأشعل فتيل الحرب بينه وبين الباشا حمودة ملك تونس، لدرجة أن آغا السباهية كان يخفي جنوده كلما انتهت معركة برية، لأن الداي كان يزين مدخل باب عزون برؤوس الفاشلين في القتال كما كان يقول"[1]، كان النزاع التونسي ـ الجزائري منذ القدم فالتونسيون لطالما رغبوا في استعمار الجزائر والاستلاء على ثرواتها، فقد كانت هناك هجومات متكررة على إيالة الجزائر من طرف الدول المجاورة الطامعة في ثرواتها، فنهاية الداي أحمد باشا المؤساوية ومقارنتها بنهاية الرئيس السابق للجزائر متشابهة الى حد كبير وهي دليل على أن حياة الظلم لا تستمر طويلا.

ب_ مريم:

إن شخصية مريم بدلالتها القوية ورمزيتها الباردة دلالة على الصبر القوي والإيمان بالقضاء والقدر، حيث شبهت قصتها بقصة "مريم الصديقة" التي عرفت بالصدق والصبر والإيمان كما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: " وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(12)"[2]، من خلال سياق الآية تبين لنا أن مريم عليها السلام قد كانت خير إلهام للكاتبة في اختيارها لشخصية مريم خطيبة حميدو، لقد أسقطت عليها كل صفاتها وسماتها، وذلك من خلال تبيان قوة إيمانها وصبرها على قضاء الله وقدره.

مريم هي خطيبة حميدو وهو ابن عمتها أيضا، إن شخصية مريم هي مثال أكبر للصبر والتفاؤل، فكانت تجسيدا للمرأة الجزائرية المتفانية في خدمة عائلتها والمطيعة، فقد ظلت محبة لحميدو منتظرة لعودته إليها لمده أربعة وعشرين عاما، ليعود الحبيب كي يتزوج حبيبته تقول: "مريم عدت بالعمر إلى سن الخامسة، عندما أتى حميدو إلى زيارتنا صيفا لقد خطفتني عيونه منذ النظرة الأولى، لأنها كانت بلون البحر، ولم أكن أشبع البحر رغم الأمتار

[1] _ هاجر قودري، الرايس، ص176.

[2] _ سورة التحريم، الآية: 12.

القليلة التي تفصل بيتنا على شاطئه"[1]، لقد جمعهما حبّا صادقا ذلك أنه وليد الطفولة النقية الصادقة.

فعلى الرغم من صغر سن مريم، إلا أنها قد أحبت ابن عمتها وظلت محافظة على عهدها بانتظاره وعدم الزواج بغيره، وفي حديث لمريم تتذكر من خلالها لحظات وتفاصيل انتظارها الطويل تقول: "مرت سنوات راكدة، وزعتها بين خدمة زوجات إخوتي وتحضير جهاز عرسي، والاطمئنان بين يوم وآخر على عمتي زوينة والدة حميدو"[2]، فمريم المسكينة أثناء انتظارها لعودة حميدو، قد عانت كثيرا في خدمة إخوتها وزوجاتهم وتلبية حاجاتهم وعلى الرغم من ذلك ظلت صابرة لاجئة إلى الله من أجل التخفيف عن حالها.

ج_**علي طاطار** :

هو شخصية تاريخية وظفته الروائية ليكون صديقا ومرافقا " للرّايس حميدو"، وعلى الرغم من شقائه ومعاناته منذ طفولته، إلا أنه سعى جاهدا من أجل بناء نفسه، اسمه الحقيقي هو بفارينز وهو من مدينة درمنجيلر، عاش طفولته كانت قاسية جدا، فقد ورد في حديثه قوله: "عندما ولدت لم تكن أمي قد بدأت مهنة التسول بعد، كانت تعيش على بيع السمك الذي يجمعه والدي كل صباح من بقايا مراكب الصيد، التي كان ينظفها... وكانت أمي تحمل السلة الفارغة وتذهب أيضا إلى السوق، إلى حين ذلك اليوم الذي ذهبت لأبحث عنها فوجدتها تتسول برفقة السلة الفارغة"[3]، كانت طفولة علي طاطار مليئة بالمواقف الصعبة بداية بصدمته أن أمه تمتهن التسول لكسب لقمة العيش فتأزمت نفسيته، وبالإضافة إلى معاناته في طفولته فقد عانى أيضا من الحب، لقد فقد محبوبته ليندا، بعد أن تم ترحيله إلى الجزائر على الرغم من أنه كان حبا متبادلا منذ الصغر، لكن شاءت الأقدار أن تفرق بينهما الأقدار، ولقد باح بتلك الحرقة قائلا: "أنا أيضا فقدت بعض عقلي حينها، ووقعت في حب ليندا منذ سذاجة سنواتي الثماني، لقد أدركت على الفور أن لستيرو أهداني إياها، لتملأ قلبي ولم يجعلني أنتظر، لقد كان ذلك في يوم جنازته، لستيرو أنت المسيح"[4]، إن الحب الذي جمع بين بافاريثو ومحبوبته ليندا، كان حبا عذريا نقيا جسدته براءتهما منذ الطفولة.

---

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص 19.

[2] _ المصدر نفسه، ص 59.

[3] _ المصدر نفسه، ص 11.

[4] _المصدر نفسه، ص 15.

وبعد أن تم نفيه إلى إيالة الجزائر، تعرف على حميدو وأصبح جزءا من طاقمه، فيقول: "صرت أتقن شد الأشرعة وربطها، وأعرف تيارات البحر ورياحها بفضل المعلومات التي قدمها لهم"[1]، إن علي طاطار يتمتع بفطنة وسرعة بديهة كبيرين مما مكنه من تعلم العديد من المهارات والخبرات في مدة وجيز منذ تعرفه على حميدو.

وبعد مصاحبته لحميدو وتأثره بالدين الإسلامي، اعتنق الإسلام وغير اسمه من بفاريتو إلى علي طاطار، وقد ورد في حديثه، "أصبح اسمي علي طاطار ولم أعد أشبه نفسي تغيرت كثيرا، أكثر من أن يتوقع أحد ما يعرفني من قبل، تبدل كل شيء في ألبستي ملامحي، لغتي، حتى حزني من الداخل"[2]، لقد تغيرت كل حياته بعد تعرفه على الرايس حميدو، وأصبح يتبع النمط الإسلامي ويطبق تعاليمه، لتتماشى حياته مع ما يعايشه في هذه المدينة ويصبح جزءا منها.

د_يحيى المديلي:

هو خوجة الغنائم وعمله يقتضي كتابة الرسائل، وقد تم استحضار شخصيته في الرواية من خلال هذا القول: "كان كل شيء خاملا في حياتي، كنت أجمع المال بهدوء وأقوم بعملي في قصر الدّاي، أكتب الرسائل وأخرج إلى الميناء مع وكيل الحرج، لأدوّن الغنائم إلى غاية وصول خبر هلاك خير الدين الابن البكر للدّاي"[3]، فمهمته كانت تدوين الرسائل والغنائم المكتسبة .

وقد تطرقت الكاتبة لحياته الشخصية وعلاقته بوالدته، فقد كان حبه لها كبيرا حيث يقول في هذا المقطع، "جلست على عتبة باب الحمام الذي كانت تديره والدتي، شممت رائحة الصابون والعرق والبخار، كان الحمام يعمل بدوامين، في الصباح للنساء وفي المساء للرجال، اشتقت إلى حياتي داخل هذا الوكر الساخن، أين لا مكان لي سوى صندوق الحمام تماما كما لالّا نورية، نورية الراشباطية عندما تتزين وتضع كامل حليها وتلبس فستانا أزرقا سماويا من كتان النص، فكان يضيف إلى جمالها النص على رأي النسوة، اللواتي كنّ يحطن

---

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص 40.

*أيالة الجزائر: هي ولاية تابعة للدولة العتمانية.

[2] _ المصدر نفسه، ص 65.

[3] _ المصدر نفسه، ص 81.

بها"[1]، لقد كان شديد الحب لوالدته، كيف لا وهي التي اهتمت به ولقنته أكثر من لغة وجعلته يتعلم مهنة الصياغة، فقد ورث محلا للصياغة عن والده كان يطمح لأن يكون مثلها.

وقد تقدم في حياته كثيرا بالإضافة إلى عمله في الصياغة، وتقلد أيضا منصب خوجة الغنائم، ليصبح فيما بعد الباش كاتب لإيالة الجزائر*، بعد أن عرض عليه بوشناق ارتياد هذا المنصب، إذ يتجسد ذلك في هذا المقطع الذي يقول: "استلمت منصبي الجديد منذ يومين فقط، وها أنا أعيش أزهى أيام عمري، أتذكر أمي بين الحين والآخر، ولكني لست كما سبق، لقد أضاف لي هذا المنصب سلطة حقيقية"[2]، فقد أصبح يتمتع بمكانة راقية ويعيش حياة مرموقة.

هـ_وكيل الحرج* السيد علي:

لقد قامت الكاتبة باختيار شخصيته بعناية كبيرة، بما يتناسب مع عمله، فقد كان يقوم بتقديم التقارير عن السفن التي في الميناء، ويظهر ذلك من خلال هذا المقطع، "كان علي أن أقوم بتفقد كامل السفن التي في الميناء، سوف لن أنتهي من هذا إلى حدود الظهر، وعلي أن أراقب حمولة سفن جنوى وفرنسا حسب أوامر الدّاي، كما يتوجب علي أن لا أنسى موعدي مع أغا السبيهية قبل صلاه العصر"[3]، لقد عرف السيد علي برزانته والتزامه الشديد بمواعيده مما أعطاه مكانة مرموقة في المجتمع.

لقد كان السيد علي يختفي حتى يتمكن من القبض على اللصوص والمشبوهين، ويظهر ذلك في قوله: " تقدمت متنكرا في ثياب نومي رفقة ثلاثة رجال من حراس الميناء، إلى داخل فرقاطة مفتاح الجهاد، حتى أتأكد من الوشاية التي وصلتني، كان يتوجب علي أن أنهي هذا الأمر سريعا، فأنا ملزم بتقديم التقرير إلى حضرة الدّاي محمد بن عثمان هذا المساء "[4]، لقد نجح في القبض على اللصوص من خلال الوشايات التي كانت تصل إليه.

---

[1]_ قويدري هاجر، الرايس ، ص 95.

*وكيل الحرج: هو الموظف المسؤول عن مراقبة النشاط البحري وأعمال الترسانة وتوزيع الغنائم.

[2]_ قويدري هاجر، الرايس، ص 114.

[3]_ المصدر نفسه، ص 29.

[4]_ المصدر نفسه، ص 24.

و_تالار :

ذكرت هذه الشخصية على أنها تعمل في تطريز الثياب فقط، تعبت كثيرا وكانت تسعى أن تصبح شخصية مرموقة، إذ تتضح ملامحها عبر هذا المقطع الذي يقول: "صرت في ما بعد أخيط الملابس، تعبت كثيرا حتى استطعت أن أصبح خياطة الأميرات، وأدخل القصور التي أشتهي، كان عملا مضنيا جدا، لذا كنت أجيد الدلال في القبول بفستان أو اثنين في السنة فقط "[1]، لقد جاهدت هذه الشخصية وثابرت كثيرا حتى تتمكن من تحقيق كل ما تتمناه وأن تجمع ثروة معتبرة وخلقت لنفسها مكانة بين الطبقات الغنية.

وقد اتضح فيما بعد أن العمل الذي تقوم به هذه الشخصية، كان فقط من أجل التغطية على مهماتها التجسّسيّة، التي تكلف بها في بيوت الشخصيات السياسية، لكي تتمكن من توفير حياة جيدة لأولادها الثلاثة، وينجلي ذلك في هذا المقطع الذي يقول: "بعد وقت قليل جعلني جورج أعمل لصالح الأمريكان، أجمع المعلومات من نساء القنصل البريطاني وأخبره بكامل التفاصيل، وكانوا يدفعون جيدا فصار عندي في البيت ثلاث فتيات، يعملن في التطريز بدلا عني، وكنت أتفنن في ذلك من أجل كسب المزيد من الزبونات، والمزيد من المعلومات، كما أنني صرت ميسورة الحال "[2]، لقد نجحت تالار في بناء ذاتها، وتمكنت من التوغل في عالم الشخصيات السياسية، لأجل كسب المعلومات.

ز_ جون جاكسون:

هذه الشخصية برزت في الرواية كتاجر قماش أمريكي، وهو من ساعد تالار في مهمتها التي كانت في الجزائر، وقد ساعدها كثيرا حتى بعد موتها، إذ تكفل برعاية أبنائها فيظهر ذلك في المقطع الذي يقول: "لم يحدث بيني وبينها شيء، ومع ذلك أشعر وكأنه حدث كل شيء حتى أنها تركت لي ثلاثة أولاد، سوف أعتني بهم طوال حياتي، سأحملهم إلى الجزء الآخر من العالم، وأتفانى في جعلهم سعداء، فقط لأنني قطعت عهدا أمام عيونها، وهي تهوي بين ذراعي في مرفأ طنجة "[3]، يتمتع جون جاكسون بشخصية إنسانية محبة، فقد ساعد تالار كثيرا حتى بعد موتها رغم قلة معرفتهما ببعض، فقلبه الكبير وإنسانيته جعلته يتحمل مسؤولية أبنائها بعد موتها.

---

[1] _ قويدري هاجر، الرايس ، ص 103.

[2] _ المصدر نفسه، ص 104.

[3] _ المصدر نفسه، ص148 .

كما تبين أنه عمل على مساعدة الرايس حميدو، بعد أن أعلنت الحرب على الإيالة الجزائرية من خلال هذا المقطع الذي يقول: "فرحت كثيرا لأن حميدو ترك البحر، ولم يعد يعمل لحساب الدّاي، كان ذلك خبرا رائعا جدا، خاصة وأنني علمت أن البحرية الأمريكية قد أعلنت الحرب على شمال إفريقيا، وعقدت من أجل ذلك اتفاقا مع البرتغال لتأديب سفن القراصنة"[1]، لقد جمعت بين جون جاكسون وحميدو صداقة من نوع خاص فكل منهما يسعى لمساعدة الآخر بشتى الطرق، وهنا قد برزت فرحته لعدم وجود حميدو في البحر أثناء إعلان الحرب على إيالة الدزائر، وأنه لم يتعرض لأي ضرر وهذا يثبت وفاءه وإخلاصه للصداقة التي تجمعهما.

ومن خلال هذا التقديم يتضح لنا أن بقية الشخصيات التي وردت في هذه الرواية قد كانت مفتقدة تاريخيا وعانت من التهميش، مما يحتسب للكاتبة جهودها في إبراز هذه الشخصيات وتقديمها للعالم فقد استطاعت بناء رواية تستلهم من التاريخ مادتها، دون أن تخل بالعناصر التي تميز الرواية عن التاريخ، بما في ذلك أنها ذهبت باتجاه التجريب في شكل السرد، الذي جاء موزعا على سبعة أشخاص يحكون عن بطل، يظهر من خلال ما عايشه معهم أو ما سمعوه عنه، كما ترك فجوات زمنية كبيرة بين الفصول رممتها الكاتبة بسرد يلتف بذكاء على ما فات ليعيد انتاجه باختزال، كما حاولت أن ترسم الحياة العادية لرياس البحر، التي لم تكن تخرج عن القرصنة والسعي لإحكام السيطرة على الحكم.

[1] _ قويدري هاجر، الرايس ، ص 181 .

المبحث الثاني: المكـان

اهتم الكثير من النقاد والفلاسفة عبر التاريخ بالمكان كمصطلح، وهذا ما تطلب تحديد مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

أولا_ مفهومه

أ_ في اللغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور أن المكان من "الجذر مكن، فقال: المكان: الموضع والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع، فقد دل هذا على أنه مصدر مكان، أو موضع منه"[1] فالمكان تعددت تسمياته فهو الفضاء الموضع، الحيز.

أما في معجم المحيط، "المكان هو الموضع، جمع أمكنة وأماكن"[2]، فالمكان حسب معجم المحيط يدل على الموضع.

أما مختار الصحاح فأورد المكان،"تحت مادة مكن(مكنه)بكسر الكاف، والمكنان وفي الحديث الشريف «أفرو الطير على مكانها»، ومكنانها بالضم، قال أبو زيد وغيره من الأعراب، إن لا نعرف للطير مكنان وإنها هي وكنان، فأما المكنان فإنها للضباب"[3]، يرى الأعراب أن المكنان مرادف لكلمة المكان.

وورد في معجم التعريفات المكان، "عند الحكماء:هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المقاس للسطح الظاهر من الجسم، وعند المتكلمين:هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفد فيه أبعاده"[4]، فالمكان اختلف في تعريفاته عند المتكلمين يعرفونه من منظورهم والحكماء من منظورهم.

كما جاء في قاموس الوسيط أن "المكان: المنزلة، يقال، رفيع المكان والموضع، جمع أمكنة"[5]، فالمكان يدل على المنزلة.

---

[1]_ ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 14، ص113.

[2]_ ابن يعقوب مجد الدين محمد، القاموس المحيط، ص 1550.

[3]_ الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، ص 163

[4]_ السيد الشريف محمد: معجم التعريفات، قاموس المصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تح: محمد الصديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، القاهرة ، مصر، د ت ، ص191.

[5]_ شوقي ضيف، المعجم الوسيط، ص 806.

وقد وردت كلمة مكان في القرآن الكريم بسياقات مختلفة، كقوله تعالى:﴿واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب﴾[1]، فالمكان يقصد به في الآية مكان البيت مكان قريب.

وقوله تعالى أيضا:﴿اعملوا على مكانتكم﴾[2]، فالمكان يقصد به في الآية المنزلة.

ب_ في الاصطلاح:

حظي المكان باهتمام الفلاسفة والنقاد قديما وحديثا، فقدموا تعريفات عديدة له كل حسب رأيه، وحسب رأي هنري ميتران المكان، "هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[3]، فالمكان أحد المكونات الأساسية التي تشكل بنية النص الروائي.

أما غاستون باشلار فيرى أن المكان، "هو المكان الأليف، وهو ذلك البيت الذي ولد فيه، أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا"[4] فالمكان حسب باشلار هو أي مكان تربطنا به ألفة، ولعل أكثر الأماكن ألفة بالنسبة للإنسان هو البيت الذي يتربى ويعيش فيه طفولته وأحلامه ويشكل فيه خياله.

كما نجد سيزا قاسم ترى أن المكان، "يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية كما أنه القرين الضروري للزمان، بحيث أنه لا يمكن تصور أي لحظة محدودة من الوجود دون وضعها في سياقها المكاني"[5]، فالمكان حسبها هو أحد الركائز الأساسية للرواية، لأنه أحد عناصرها الفنية ومعروفة ملازمته للزمن.

أما عبد المالك مرتاض فيعرفه، "هو كل ما عني حيزاً جغرافياً حقيقياً، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي أو أسطوري، أو كل ما يند عن المكان المحسوس: كالخيوط، والأبعاد، والأثقال والأحكام والأشياء المجسمة مثل: الأشجار والأزهار، وما يغري هذه الظاهرة التحيزية من حركة أو تغيير"[6]، فالمكان حسب عبد المالك مرتاض فيترجمه بالحيز ويعني به الحيز الجغرافي وحده.

---

[1] _ سورة ق، الآية: 41.

[2] _ سورة الأنعام، الآية: 135.

[3] _ الحميداني حميد، بنية النص السردي، 1991م، ص 65.

[4] _ باشلار غاستون: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1984، ص 06.

[5] _ قاسم سيزا: بناء الرواية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر 1984، ص 106.

[6] _ مرتاض عبد المالك: تحليل الخطاب السردي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1995، ص 245.

وقد قابل المكان مفهوم الفضاء حسب الباحث حسن بحراوي في قوله: "إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز، فيختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنه فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات المطبوعة "[1]، فتشكل الفضاء الروائي من الكلمات، يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية، التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ويتميز فضاء السرد عن الفضاءات الأخرى المعروفة واقعيا.

فالمكان باختصار هو المكان الواقعي الملموس، ويمكن تخيله روائيا، لدرجة يخيّل للقارئ أنه مكان واقعي وحقيقي، ذلك أن الروائي يستمدّ ملامحه من الواقع ومزجه بالخيال.

ثانيا_ أهم أنواع الأمكنة في رواية الرايس: الأمكنة تتفرع إلى عدة أنواع لعل أهم ما حضر في الرواية ما يلي:

1_الأماكن المفتوحة:

يعد المكان عنصراً أساسياُ في العمل الروائي، ونقصد بالمكان المفتوح، "انفتاح الحيز المكاني واحتضانه لنوعيات مختلفة من البشر، والأشكال المتنوعة من الأحداث الروائية"[2] وقد استحضرت الروائية هاجر قويدري في روايتها عديد الأمكنة المفتوحة، هذه الأماكن الحاضرة في التاريخ فهي غالبا استوحته من أعماقه، ولعل من أهمها ما يلي:

أ_ المدينة تاريخيا وفنيا:

ذكرت المدينة في كتب التاريخ في مواضع كثيرة، "فقد اهتم الحكام العثمانيون بتحصين مدينة الجزائر معماريا وإعادة بناء أسوارها بشكل متقن، وتشيد الحصون والأبراج وإحاطتها بالمدينة حتى يتسنى للجيش وسكان المدينة من الدفاع عن مدينتهم، وحفظ ممتلكاتهم من السطو الأجنبي أو المحلي، وقد ذكرت الكتابات التاريخية أن الأسوار هي من أساسيات البناء المعماري القديم، منها ما يكسب المدينة مظهرا جماليا، ومنها ما يتصل بالوقوف في وجه المتغيرات الطبيعية من فيضانات وعواصف، وكذلك حماية المدن عند

[1]_ بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الشخصية، الزمن، ص 27.

[2]_ بورايو عبد الحميد: منطق السرد في القصة الجزائرية الحديثة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 145.

تعرضها للغزو والعدوان"[1]، فمدينة الجزائر كانت مدينة حربية، لها وظائفها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية، وتعد الأسوار حائطا دفاعيا صلبا للوقوف في وجه العدو.

ولعل ما كتبه الباحث مصطفى حموش عن عوائق تقدم المدن الجزائرية، "يرفع اللبس عن حقيقة المدينة الجزائرية في العهد العثماني، فكتب أن الجزائر العثمانية لم تتعاط الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا الغربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر واكتفت بالعمل التجاري الحرفي والزراعي والخدماتي، وبالتالي لا يمكن لها أن تكون مدينة كبيرة ذات وزن دولي، بل كانت مدينة صغيرة يحكمها الحصان والسوق، والميناء بالنسبة للمدينة الساحلية، وقوتها المحركة هي الخيول والبغال والمراكب البحرية الصغيرة"[2]، فالمدينة الجزائرية في العهد العثماني امتازت بنشاطها التجاري والزراعي، وكانت مدينة صغيرة يحكمها الحصان والميناء، وامتازت بالمراكب البحرية، وكانت المدينة الجزائرية متأثرة بالتطورات السياسية.

واعتبرت مدينة الجزائر مكان عيش الرايس حميدو وعائلته، "تحت أسوار هذه المدينة بذل حميدو جهدا معتبرا، محاولة منه الإفلات من المصير الذي كان يخشاه"[3]، فالمدينة وظفت في سيرة الرايس حميدو، لأنها مكان الأحداث، وامتازت حسب كتب التاريخ بالأسوار العالية، فهي تمثل سلاح الدفاع الناجع منذ القدم، إلا أنها لا تسمح بتوسيع مستمر لعمران المدينة، وانغلاقها بأسوارها جعل ديارها عالية البناء وطرقها وأزقتها ضيقة.

أما فنيا فقد عالجت الروائية هاجر قويدري المدينة بطريقة مختلفة عن التاريخ حيث ركزت على خصوصيات المدينة وعادات كل سكانها، وحملت ذكرياتهم وأوجاعهم، أما التاريخ فركز على وصف المدينة وإبراز مهامها، فالروائية وظفتها بطريقة جمالية، حيث بدت المدينة في رواية الرّايس مفتوحة على البحر، إنها الموطن الحقيقي للشخصيات البحارة، فهده المدينة قد تركت أثرها في كيان "بفاريتو" بعدما وجد نفسه مجبرا على ترك قريته "درمنجيلر" حينما اقتيد ضمن خمسين شقيا، من أجل الجهاد في سبيل الدين الإسلامي والدولة العثمانية "عندما لاحت المدينة البيضاء على مرمى البصر، ابتلعت

---

[1] _ ابن حموش مصطفى: المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا1999، ص245.

[2] _ المرجع نفسه، ص249.

[3] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص6 .

ريقي، عادت إلى ذاكرتي حكاية وصولي إليها، فكرت في أنني سأخبرها أنني بخير، ولم يطلني الشقاء الذي توقعت، كنت أريد توضيحات أخرى لهذه المدينة التي لم ترقني يوما غير أنها بادلتني ذات الشعور وأوقفت ثرثرتي"[1]، فبغاريتو عند وصوله إلى الجزائر أفقده الانتماء إلى "درمنجيلر" إلا أنه وجد في المدينة البيضاء الراحة والطمأنينة. فبفاريتو يسترجع ذكرياته الأولى في هذه المدينة، لكنها أصبحت موطنه بعدما تعرف على حميدو، وأصبح بحارا ولم يطله الشقاء كما توقع أول مرة، لأن حميدو أصبح صديقه المقرب ومؤنس وحدته في هذه المدينة.

إن المدينة تمتلك وجها جماليا لا مثيل له حسب ما نقلته أسطر الرواية، وما دلالة ذلك إلا القيمة الكبيرة التي يكنها الساكنة لمدنهم وتمسكهم بها، حيث يقول المقطع: "دخلنا المدينة البيضاء صعدنا سلالمها الصغيرة، أقر لي حميدو بأن وكيل الحرج لن يتركه في المدينة لأكثر من ثلاثة أيام"[2]، فالروائية بين الفينة والأخرى تلجأ إلى تقديم بعض ملامح الجمالية للمدينة، تحاكي من خلالها الواقع، لأن المكان في العمل الفني يكتسب خصوصية من خلال وصف الكاتب له.

ومن جانب آخر تمتلك المدينة بعدا نفسيا، فنجد الروائي إذا أحب مكانا تفنن في وصفه، بطريقة صادقة عفوية، أو نجد الروائي في موقف تشاؤم، إذ تقول الرواية: " لم يسبق لي أن تركت مدينتي إلا مرة واحدة عندما ماتت أمي، وحاولت الهروب من حزني إلى جنوة، المذاق ذاته يغزو حلقي الآن، فقدان لاذع وربما بحرقة أكثر هذه المرة"[3]، فنجد أن للمكان بعد نفسي عند بفاريتو حيث أنه يعتبر تركه للمدينة "درمينجلر"حدث قاسي له فيتحسر بفاريتو على ترك مدينته درمنجيلر، لأنه لم يسبق له تركها إلا مرة واحدة بعد موت أمه، فهو حزين ويتألم بحرقة لتركه موطنه الأصلي، واقتياده إلى مدينة الجزائر ضمن خمسين شقي.

---

[1] _ قويدري هاجر، الرايس ، ص 37.

[2] _ المصدر نفسه، ص 41.

[3] _ المصدر نفسه، ص 08.

ب_البحر تاريخيا وفنيا:

البحر عبر مرور الزمن يبقى من أعظم خلق الله في الكون، واعتبره الناس مصدرا لأرزاقهم، ومكانا لحراسة مدنهم من الأطماع الخارجية، وقد، "حظيت الجزائر في العهد العثماني بمكانة كبيرة، حيث بلغت البحرية الجزائرية ذروة عظمتها خلال الفترة العثمانية بفضل أسطولها البحري الذي كان مقره الجزائر"[1]، وقد سجلت المصادر التاريخية الدالة على أهمية البحر في العهد العثماني، والدور الكبير للأسطول البحري ورياس البحر في الدفاع عن الجزائر. وللبحرية الجزائرية دور كبير في الجهاد البحري، "حيث كانت الجزائر عرضة للأخطار الأجنبية، وهذا بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي، الذي كان يتحكم في معظم الحوض العربي للبحر المتوسط، انطلاقا من محور مالطا إلى مضيق جبل طارق الأمر الذي تطلب من حكومة الجزائر حماية سواحلها من الغزو الأجنبي"[2]، حيث اقتحم معظم الجزائريين مجال البحر، لكن لم يكن بسبب ممارسة الجهاد البحري بل لحبهم وولعهم بالبحر، لكن الهجمات البحرية استهدفتهم، فبذلت الجزائر في العهد العثماني جهدا كبيرا لترقية البحرية الجزائرية، وطورت أسطولها البحري الذي لعب دورا مهما في صد الهجمات الخارجية الدول الأوروبية.

وفنيا وظفت هاجر قويدري في رواية الرايس البحر كمكان رئيسي، وكل الأمكنة مرتبطة به وربطت حضورها بالبحر الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك من خلاله الشخصيات ومنحه دلالات نفسية ووجدانية، ولا أدل من هذا المقطع الذي يقول: "أحب البحر الصباحي، أحب خروج ليله بهدوء، وسقوط خيوط شمسه البكر على الفضاء الأزرق والمتحرك، أحب أن ترحل حكايات الخوف الحالكة وسكونها المرعب، وتستيقظ ألوان الحياة وتستمع إلينا، لا أحب الليل ولا البحر في الليل ولا الستر الأسود، أحب هذا الستر الأبيض الذي يكشف عن أسنانه البيضاء، لذا كان الوقوف أمام ميناء الجزائر كل صباح باكر شهيتي التي لا تتوقف ولا تشبع"[3]، فالسارد يرسم لنا لوحة فنية جمالية، يصف فيها البحر بأنه الفضاء الأزرق المتحرك الذي يحتوي حكايات البحارة أمام ميناء الجزائر كل صباح.

---

[1]_ الجيلالي عبد الرحمان محمد: تاريخ الجزائر العام، ج 3، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، د.ت، ص486.

[2]_ سهيل جمال الدين: ملامح من شخصية الجزائر خلال ق11الى 17م، مجلة الواحات البحوث والدراسات، ع13، غرداية، الجزائر 2011، ص140.

[3]_ قويدري هاجر، الرايس، ص 54.

وللأمكنة حضور تاريخي كالبحر، الذي شهد مختلف الأحداث التاريخية عبر مرور الزمن، "فقد اكتسبت الأمكنة حيوية وجودها وفاعليتها من خلال توغل ذاكرتها في أعماق الزمن الماضي، وما يعتمل فيه من أحداث ومواقف ذات صلات وثيقة بمكونات التاريخ وسماته"[1]، فهذه الأمكنة إذا أفرغت من سياق التاريخ وأحداثه، فإنها لا تشكل أهمية في وعي الإنسان وشعوره.

كما نجد مقطعا على لسان إحدى الشخصيات يقول: "لا أكاد أذكر شيئا الآن سوى اللون الأزرق الداكن للبحر العميق، حيث يسكن البرد الذي أحببت طوال عمري، برد مياه البحار المنعش الذي كان يغسلني ويجعلني نقيا كل يوم، أما هنا في هذه الزنزانة فلا يزال يؤكلني العرق"[2]، فهنا نجد السارد قد أعطى للبحر بعدا جماليا، من خلال وصفه له وطريقة تقديمه للقارئ، فالبحر هو موطن رياس البحر، فالبحر له أهمية ودور كبير تاريخيا في الفترة العثمانية، ووظف فنيا بطريقة جمالية من خلال إبراز مكانته في تحريك أحداث الرواية.

الرايس حميدو واحد من أشهر رياس البحر في الجزائر في العهد العثماني، واعتبر حميدو مولعا وعاشقا للبحر منذ صغره ، وقد لقب بأميرال البحرية الجزائرية، وقد جاء ذلك في سيرة حميدو التاريخية، "ذات يوم كان حميدو متواجدا في القلعة حين اندلعت رياح عاتية في عرض البحر"[3]، فالبحر حسب سيرة حميدو هو مكان عيشه ومكان دفاعه عن بلده، وكذلك مكان انتصاراته وغنائمه التي غنمها، في خدمة البحرية الجزائرية في العهد العثماني.

وكذالك كان البحر هو مكان موت حميدو، "فأسقطته الرجفة الأولى التي أطلقها العدو وتركته جثة هامدة في المركز القتالي، وتنفيذا لتعليماته، ألقى بجثته في البحر"[4]، فالبحر هو من الأماكن التاريخية التي حركت الأحداث التاريخية، وتنفيذا لتعليمات الرايس حميدو رمي بجثته بالبحر لينتهي هذا البطل في البحر المكان الذي عشقه، حيث رسم في مخيلة القارئ

---

[1] _ زايد صلاح عبد الله: دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر، من منظور القراءة والتأويل ، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2014، ص84.

[2] _ قويدري هاجر، الرايس، ص 46.

[3] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية 1770/1815، ص5.

[4] _ المرجع نفسه، ص 30.

البحر بما يميزه بحركة وسكون، وأنه مكان إلهام لكل البحارة فهو وجهتهم وحامل أسرارهم وهمومهم وأفراحهم.

وظفت الروائية هاجر قويدري في روايتها حادثة موت حميدو كما أرخت في كتب التاريخ، "انتهى حميدو في البحر برفقة صديقه علي طاطار بعد أن قصفتهم مدفعية ستيفن ديكاتور، ورغم كل جراح علي طاطار إلا أنه رمى بجثة حميدو في البحر، كما كان يشتهي"[1]، أحب حميدو البحر منذ صغره فاستشهد به وطلب من بحارته رميه بالبحر، فنفذ وعده علي طاطار، وانتهت قصة بطولات حميدو مع البحر، فالبحر من خلال رواية الرايس ومن خلال سيرته من الأماكن التي حركت الأحداث التاريخية والروائية ، فالبحر كان ويظل رمز الحرية والعطاء.

2_ الأماكن المغلقة:

اعتمدت الروائية هاجر قويدري في روايتها على الأماكن المغلقة، "فهي تؤدي دورا محوريا في الرواية لأنها ذات علاقة وثيقة تشكل الشخصية الروائية، وتتفاعل هذه الأمكنة المغلقة مع الأمكنة المفتوحة بإيجابياتها وسلبياتها وتجلياتها، فتغدو هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات والمواقع"[2]، فالأماكن المغلقة تحمل دلالات مختلفة سلبية وإيجابية، فالانغلاق يعني في الغالب الاستقرار والطمأنينة وفي أحيان أخرى الألم والوجع، ولها دور مهم في تشكيل الشخصية الروائية.

أ_ السجـن تاريخيـا وفنيا:

السجن في مدينة الجزائر العثمانية مكان إقامة الأسرى، حيث تعددت وتنوعت السجون فهي تعتبر، "منازل كبيرة، شبيهة بكل منازل الجزائر، حيث تتكون من ساحة داخلية محاطة برواق مرتفع، حيث قسمت إلى غرف تتسع الواحدة منها من15 إلى 20 شخص ولا يوجد أثاث داخلها، حيث ينام الأسرى فوق نوع من حصائر منسوجة من القصب أو من الحلفاء، وفي بعض الأحيان ينامون فوق نوع من الأسرّة العالية، التي تشبه

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص192.

[2] _ أحمد حفيظة: بنية الخطاب السردي في الرواية النسائية الفلسطينية، ط1، منشورات مركز اوغاريت الثقافي، فلسطين 2007، ص134.

إلى حد ما أسرّة التخييم التي يقومون بصناعتها بأنفسهم"[1]، وقد تعددت السجون في الدولة العثمانية للحفاظ على النظام والأمن، ووصفت كتب التاريخ السجن بطريقة مأساوية فالسجن مكان لنيل عقاب كل مذنب وخارج عن القانون.

وقد وثقت كتب التاريخ عن السجن في فترة الدولة العثمانية، وبالأخص في سيرة الرايس حميدو، فكانت تحاكى مؤامرات بين ريّاس البحر للإطاحة بهم، فحميدو من الريّاس الذين شاع صيتهم وتعرض للسجن عدة مرات، ونجد ذالك في المقطع الذي يقول:" أدرك حميدو أنه كان سجينا، وازدادت أسباب مخاوفه بفعل الاحتياطات المتخذة بشأنه"[2]، دخل حميدو السجن عدة مرات بفعل المؤامرات التي تحاك ضده، فحينما أدرك حميدو أنه مسجون، حاول الإفلات من المصير الذي يخشاه، فحميدو من البحارة المشهورين اللذين ذاع صيتهم في الدول العثمانية، لهذا كانت تحاك له الكثير من المؤامرات للتخلص منه لكنه كان في كل مرة يفلت من العقاب ويحاول اغتنام الغنائم ليتساهل معه المسئولون في الدولة، وهذا ما ساعده في كثير من المرات للإفلات من العقاب، كما نجد نموذج آخر يذكر فيه حادثة أخرى لسجن حميدو، "يقول القبطان باشا القسنطيني في كتابه المرسل لمصطفى، إني أصدرت أوامر إلى موانئ الخلافة كافة، من أجل طرد أعوانكم كما أصدرت الأمر بعدم تزويد الإيالات بأي جندي وعدم السماح لها بالقيام بأي تجنيد، وبأسر كل سفينة تابعة لها قد تظهر أحد موانئ البحر الأبيض المتوسط وسجن طاقمها وقائده[3]"، فالسجن هو مكان مظلم يعاقب فيه كل شخص يخالف أوامر الخلافة العثمانية، فحميدو سجن عدة مرات بسبب الغيرة والمؤامرات، لكن هذه المرة لم يتلق حميدو التوبيخ، لأنه واصل بطولاته وغنائمه التي كانت سبب في حريته.

على المستوى الفني فالسجن هو مكان تسلب فيه حرية الفرد، ويشكل في غالبية الأحيان مكانا لحرمان الإنسان من أبسط حقوقه، وفي رواية الرايس انتقل البحارة من عالم البحر إلى السجن الذي يدل على الوحدة والانغلاق، إذ يقول المقطع: "صعبة الزنزانة على بحار وزع عمره بالكامل في الفضاء الأزرق اللامتناهي"[4]، وكان سيد علي أبرز من تعامل

[1] _ كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص58.

[2] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص6.

[3] _ المرجع نفسه، ص9.

[4] _ قويدري هاجر، الرايس، ص46.

مع هذا المكان الذي سلبه حريته، فبعدما قضى سيد علي حياته في البحر اصطدم بواقع سلبه حريته وحياته.

ونجد كذلك بفاريتو الذي اعتاد على السجن في وطنه درمنجيلر عندما كان لصا، إذ يقول السارد: "ظلت حياتي حجرا صلدا هنا في هدا السجن البشع، أشتاق البحر، أشتاق ملح البحر، مر البحر ولا فظاعة الشمس الحارقة في محجرة صماء، لا صوت الله فيه[1]" كان لوجود بفاريتو إلى جانب حميدو لسنوات، جعله يتناسى حياة السجن إلى أن سجن في بايلك التيطري، لأن ولعه بالبحر جعله لا يحتمل السجن لأنه موطن الألم، ولعل استحضار السجن فيه إشارة إلى هذا الواقع الذي تعيشه الجزائر وبقية الأقطار العربية فكأن أوطاننا أصبحت كسجن كبير، يزج فيه كل الصالحين والساعين للحفاظ على سلامة الوطن.

وفي هذا السياق نجد أن الروائية استطاعت إبراز علاقة الشخصيات بالسجن التي كانت علاقة تشاؤم ونفور، فالسجن عبر التاريخ يبقى موطن الألم، فعلاقة البحارة بالسجن علاقة معادية، لأن موطنهم الأساسي هو البحر المنفتح على العالم اللامتناهي، حيث الحرية التي لا حدّ لها، فالسجن تاريخيا أو فنيا يرمز لسلب حرية الفرد وتقييد الحريات.

كما سبق وذكرنا فإن الجريمة الملازمة للإنسان منذ القدم وكذلك في المقابل نجد العقوبة الرادعة للحد من تفشي الجرائم، فنجد بأن الجريمة لم تتغير مع تطور العصور وإنما تغيرت الأداة المستعملة في ارتكابها، فبعد أن كان السجن في المجتمعات القديمة وسيلة لردع المجني عليه، بوضعه في أماكن بمثابة بيئة مغلقة تعزله عن المجتمع، أما الآن فقد أصبح في عصرنا الحاضر ينظر إلى السجن بأنه مكان لإصلاح السجين وتهذيبه وإعادة إدماجه في المجتمع.

إن الحديث عن تطور أنظمة السجون والتأكد من فرض العقوبات لابد أن نقرنه بتطور أغراض العقوبة وأسبابها، والحديث عن تطور مفهوم السجون عبر العصور المختلفة وصولا إلى وقتنا الحاضر، حيث تحولت نظرة المجتمع من فرض عقوبة الإلزام والإجبار إلى غرض الإصلاح، وجعل السجن كمؤسسة للتأهيل، ويتبين لنا بأن القانون لا يفرق بين الناس بل يجب تطبيقه على الجميع على حد سواء.

[1] _ قويدري هاجر، الرايس ، ص69.

ب_القصـر تاريخيـا وفنيا:

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية تطورا ملحوظا في مجال العمران، حيث يجمع الرحالة على أن مدينة الجزائر بها أسوار عالية، وداخلها بيوت وقصور وأحياء تحكي روعة الإتقان في البناء، ونعطي مثال بالقصور التي اشتهرت في الفترة العثمانية، وهو قصر مصطفى باشا، حيث، "يعتبر هذا القصر إقامة عائلية للدّاي مصطفى باشا الذي حكم بين 1805/1798، وبني القصر على أنقاض مساكن قديمة البناء، كانت تابعة لمؤسسة سبل الخيرات الحنيفية الوقفية، وتقدر مساحة هذا القصر سبعمائة وتسعون مترا مربعا، وبها أكثر من خمسمائة ألف مربع من الخزف، ولوحظ أن مدخل القصر مصمم على أسس أمنية يحرسه زنجي، أما القصر فيحرسه أحد عبيد الداي مصطفى، ويتوفر القصر على طائفتين نجد الطابق الأرضي سقيفة وقاعة استقبال وساحة مزينة بالزخرف، تتوسطها نافورة ماء وتنفتح على غرف وأبواب أجنحتها، أما الطابق العلوي فيه غرف خاصة بالدّاي وحريمه وشرفة عادة ما يجتمع بها أفراد عائلة الداي"[1]، تصف كتب التاريخ القصور التي سكنها المسئولون الكبار في الدولة العثمانية كالدايات والبشوات، والتي كانت تحتوي على مساحة كبيرة، وتصميم معماري مميز، فقد اهتم العثمانيون بالبناء عملية واضحة، وقدمنا مثال عن قصر مصطفى باشا.

ورغم جمال تصميم القصور معماريا إلا أنها مكان لأداء مهام معينة بالإضافة إلا أنها أمكنة للهو والانحراف، "وما أبرئ المسئولون من ذلك الانحراف الذي يقع في القصر فأمر طبيعي أن يقع مادام قد شيد القصر لأداء مهمة معينة، ووجد في داخل القصر ما وجد، وانصرف من فيه إلى اللهو أو الشغل البناء، وجر المياه إلى الحدائق والمنتزهات والأخذ من نعيم الدنيا"[2]، فالقصور قد شيدت من طرف العثمانيين لأداء مهام معينة، لكن انصرف من في القصر إلى اللهو والانحراف والأخذ من نعيم الدنيا.

وإجمالا تتفق كتب التاريخ أن القصر منشأ عمراني شيد من طرف العثمانيين فالعمران من بيوت وقصور في مدينة الجزائر، التي يرجع تاريخها إلى الفترة العثمانية يشكل رصيدا تاريخيا وأثريا وحضاريا لا يستغنى عنه في كتابة تاريخ الجزائر العمراني.

---

[1] _ ديفولكس ألبير: خطط مدينة الجزائر، تح: مصطفى بن حموش، د ط، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2004، ص80.

[2] _ شاكر محمود: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان 2000، ص15.

أما فنيا فالقصر شيد من طرف العثمانيين، لكن الروائية هاجر قويدري وظفت البيت في الرواية وأعطت له أبعادا جديدة من خلال إطلالته على البحر، ولم تصف البيوت والقصور كما وصفت في العهد العثماني، وتكلمت عنه بصفته المكان الذي تسكنه الشخصيات المتداولة في الرواية، والقصور هي التي سكنها ريّاس البحر والمسئولين في الدولة العثمانية، ونجد مقطعا يقول: "لا يضايقني شيء...على العكس أعرف أن حميدو يسكن البحر ويريدك معنا أنا والعمة زوينة حتى يطمئن باله، فكرت في أمور كثيرة في وقت واحد، ثم قلت لنفسي إنها أيامي أيضا قادمة لاشك، سوف يجهز حميدو البيت لنتزوج"[1] فحميدو هو الغائب الأكبر عن البيت لأنه مولع بالبحر، وخطيبته مريم تنتظر منه الرجوع إلى البيت والزواج، فالرايس حميدو لم تكن تهمه الأموال والقصور، بقدر ما دافع عن وطنه حيث كان له دور كبير في خدمة البحرية الجزائرية، فالبحر أخذ منه كل الوقت وحتى حقه في أن يتزوج ويعيش من نعيم الدنيا كما فعل المسؤولون في الدولة العثمانية.

ولقد سكن القصور في العهد الثماني كبار المسئولين في الدولة العثمانية، وهذا المقطع يعكس ذلك ويقول: "في الصباح اقتحم السنبك حراس الداي، كبلوني في هدوء وحملوني إلى قصر أحمد باشا، الذي بدوره سلمني إلى القنصل الفرنسي وهو يقول: هاهو المذنب الذي اعترض طريق سفينتكم"[2]، فالقصور شيدت لأداء مهام معينة. فعلي طاطار يسرد في هذا المقطع عن طمع الحكام في الدولة العثمانية من بينهم أحمد باشا الذي سلمه إلى قنصل فرنسا وضحى به من أجل الحصول على امتيازات ، فالمسئولين الذين يسكنون القصور معظمهم يخدم مصلحته الشخصية ، ولا يهتم بمشاكل المجتمع وهدا ما يؤدي إلى الصراعات والنزاعات.

ومقارنة بين أهمية القصور في العهد العثماني، وبين القصور في الواقع الجزائري لم يعد الاهتمام نفسه، لكن المعالم الأثرية حظيت باهتمام المسؤولين وأعادو ترميمها، تتمتع الجزائر بمجموعة مميزة من المعالم الأثرية التي تعتز بها على غرار قصر الرايس حميدو القصر التركي، قصر بوعمارة، وحصن الدفاع البحري، حيث أعيد ترميمها بهدف التعريف بالبعد التاريخي الحقيقي لهذه القصور، التي تعد مفخرة سواحل العاصمة التي "تتمتع

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص117.

[2] _ المرجع نفسه، ص 173.

بمستقبل سياحي وثقافي واعد"[1]، فقد استعادت القصور بريقها بعد ترميمها، من بينها قصر الرايس حميدو، ليبقى أثر تاريخي شاهد على هيمنة البحرية الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط في الماضي والحاضر.

المبحث الثالث: الحدث

إن الرواية تقوم على الأحداث التي ترتكز عليها وبها تبنى، وقد أردنا التطرق إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي للحدث.

أولا_ مفهومـــه:

أ_ في اللغة:

ورد تعريف الحدث في لسان العرب فقيل: "حَدَثَ الحديثُ نقيض القديم، والحدوث: نقيض القُدْمَة، حَدَثَ الشيء يحدث حدوثا وحداثة، وحدث أمر أي وَقَعَ "[2]، وهو يعني وقوع الشيء بعد أن كان منعدما وغير موجود .

كما جاء في القاموس المحيط تعريفا للحدث يبدو قريبا من التعريف الذي ذكره ابن منظور، بحيث يقول أن "حَدَثَ حُدوُثاً وحداثة : نقيض قَدُمَ ، وتضُم داله إذا ذكر مع قدم وحدثان الأمر بالكسر: أوله وابتداؤه – كحداثته– ومن الدّهر: نُوَبُهُ ، كحوادثه وأحاديثه"[3] فالحداثة هي نقيض للقدم وتعني الشيء الجديد الوقوع.

أما في مختار الصحاح فإن التعريف الذي ورد هو، "(الحديث) الخبر قليله وكثيره وجمعه (أحاديث) على غير القياس. قال الفراء: نرى أن واحد الأحاديث (أحدوثة) بضم الهمزة والدال ثم جعلوه جمعا للحديث"[4]، وذلك يعني أنه جمع الأخبار مهما كانت قليلة أو كثيرة وتداولها بين الناس.

وقد جاء في المعجم الوسيط، "(حدث): تكلم وأخبر وروى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، – و– بالنعمة: أشاعها وشكر عليها ـ و. فلانا الحديث، وبه: خبره"[5]، أي أن يروي الحديث وينقله على لسان قائله.

---

[1]. الاتحاد: قصر رياس البحر يشهد على هيمنة البحرية الجزائرية على البحر المتوسط، www.elkhadra.com.

[2]– ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج2، ص 796. (مادة حدث)

[3]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 336.

[4] الرازي أبي بكر محمد بن شمس الدين، مختار الصحاح، ص53.

[5]– ضيف شوقي، المعجم الوسيط، ص 159.

ب ـ في الاصطلاح:

يعرفه الباحث طه وادي في كتابه دراسات في نقد الرواية بقوله: "الحدث هو الفعل القصصي الذي تشكله حركة الشخصيات، لتقدم تجربة إنسانية ذات دلالة معينة"[1]، فهو يعتبر الحدث هو المادة التي تتبني عليها القصة.

كما تطرق طه وادي لتعريف آخر للحدث في كتابه الرواية السياسية بقوله: "الحدث الروائي لا يدور في فراغ، وإنما يوهم ـ غالبا ـ بأنه يرصد تجربة إنسانية في واقع محدد، له وجود متعين على خريطة مجتمع من المجتمعات، لأن الفنون السردية من أكثر الأنواع الأدبية (إيهاما) بأنها تعكس حركة الواقع، وتصور مسيرة أفراده"[2]، أي أن الحدث يقوم بتصوير بعض الأزمات التي يعيشها الأفراد.

كما يعرّف الحدث من جانب آخر على أنه يعني، "الانتقال من حال إلى حال في غضون الرواية والقصة"[3]، أي أن الحدث هو ذلك التطور الذي يمتد على طول خط الرواية كتجسيد لرؤية الكاتب.

وفي تعريف آخر أن الحدث، "يعرف بأنه كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء، ويمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهة أو متخالفة تنطوي على أجزاء، تشكل بدورها حالات مخالفة أو مواجهة بين الشخصيات"[4]، وذلك يعني بأن الحدث يتشكل من خلال خلق حركة جديدة أو حدوث تغيير جدري جديد.

الحدث الروائي يمتلك أهمية بالغة في تشكيل البناء الروائي، بحيث يعدّ، "في الرواية بمثابة العمود الفقري تقوم عليه بنيتها، فالروائي ينتقي بعناية وباحترافية فنية الأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي، فهو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني، ما يجعل من الحدث الروائي شيئا مميزا مختلفا عن الوقائع في عالم الواقع"[5].
وذلك يعني أن العمل الروائي لا أهمية له دون وجود الأحداث فهي العصب الذي تقوم عليه الرواية.

---

[1] _ وادي طه : دراسات في نقد الرواية ، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر 1994، ص 28.

[2] _ المرجع نفسه، ص16.

[3] – بدر محمد أسماء: الحدث الروائي والروائية في النص، مجلة دواة، د ط، د ت، ص 6.

[4] _ المرجع نفسه، ص 07.

[5] – بعيطيش يحيى، خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، ص 5.

ثانيا/ الحدث تاريخيا وفنيا:

نجد أن الكاتبة هاجر قويدري قد نجحت في استلهام الأحداث التاريخية التي تخدم عملها الروائي، بحيث عملت على تطويعها بما يتماشى مع مضمون روايتها، فقد كانت الأحداث كالتالي:

ب_ حادثة غنم فرقاطة:

لقد شهد التاريخ للرايس حميدو حدثا كبيرا، رسخ في الذاكرة التاريخية على مر العصور، ألا وهو حادثة غنم بفرقاطة* البرتغالية وذلك كان، "بعد إبحار دام بضعة أيام التقى الرايس حميدو بفرقاطة برتغالية، فوضع مشروعا جزئيا للاستيلاء عليها وتنفيذا لخطته استعمل الحيلة فرفع الراية الإنجليزية، قبلت السفينة البرتغالية هذا التحول دون احتراس، مما أثار الإعجاب الكبير بالسلوك الذي تحلت به الفرقاطة الجزائرية"[1]، لقد كانت مباغتة جميلة من طرف حميدو في تضليل هذه السفينة، والتمكن من الاستيلاء عليها، وإن غنيمة من هذا النوع قد رفعت من شأن حميدو، فالفرقاطة قد كانت مجهزة بـ 44 مدفعا و282 من الأسرى الكفار، بالإضافة إلى البضائع التي كانت محملة فيها، والتي منحت كلها إلى خزينة الدولة.

على الرغم من ضياع أغلبية الكتب التاريخية عن الدولة الجزائرية وتاريخها إلا أنه يحتسب لجهود بعض الكتاب الذين ساهموا في الحفاظ على تاريخ هذه الدولة وبالأخص نذكر حادثة الغنم بفرقاطة البرتغالية، "فقد لعب دورا رئيسيا آخر القباطنة القراصنة العظام، وهو الرايس حميدو، في المحافظة على مدينة الجزائر خلال هذه الأوقات الصعبة، ففي سنة 1802م، قبض على سفينة حربية برتغالية ذات 44 بندقية دون خسارة رجل واحد"[2]، كان تأثير الحصول على هذه الفرقاطة كبيرا خلدته الكتب التاريخية أعلى من شأن الرايس حميدوا.

كان تأثير الحصول على هذه الفرقاطة كبيرا خلدته الكتب التاريخية أعلى من شأن الرايس حميدوا.

*هو اسم يطلق على نوع من السفن الحربية السريعة التي تكون أصغر حجما من المدمرات وأكبر من الفرقيطة أو الكورفيث، بالمقارنة مع المدمرات، فإن الفرقاطات ذات سرعة ومدى بحري أقل.

[1]ـ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص14.

[2]ـ وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص 172.

وقامت الروائية استحضار هذه الحادثة التاريخية كما روتها المصادر المتناقلة، فقد كان لهذه الحادثة دورا في إعلاء مكانة حميدو، الأمر الذي أفرح الداي والجميع، فقد ورد في الرواية قول السارد، "دخل الرايس أحمد الزميرلي أول استحكامات الميناء وهو يضرب المدفعية، فهرع نحوه ليمان الميناء بزورقه السريع، حتى يعرف منه ما الخطب، كان الداي مصطفى باشا يريد معرفة ما يجري بسرعة، فأرسلني ليفهم ما يحدث، وعندما وصلت الميناء عرفت أن الرايس أحمد الزميرلي يضرب كل هذه المدفعية، لأن حميدو قد غنم فرقاطة البرتغالية عليها خير كثير"[1]، لقد كان هذا النصر كفيلا برفع مكانة حميدو في عين الداي وإثبات قدرته على تحمل مسؤولية رئاسة البحرية الجزائرية.

ج_ حادثة السنبك:

إن الفرحة التي عمت بعد الغنم بتلك الفرقاطة البرتغالية لم تدم طويلا، وذلك راجع إلى حادثة السنبك* التي غيرت مجرى الأحداث، فالتاريخ قد خلد هذه الذكرى من خلال ما أورده علي تابليت في كتابه الرايس حميدو بقوله: "ذات يوم، كان حميدو متواجدا بالقلعة حيث اندلعت رياح عاتية في عرض البحر، لم يكن المرفأ جيدا، وأصيب السنبك المسكين بالتعب الشديد، قام حميدو بكل الأعمال اللازمة لإرساء السنبك، فربط كوابله كليا بالمرفأ، ثم انتظر الحدث الذي ما فتئ أن وقع، انقطع الكابل الأخير، وحينها حملت العاصفة الهوجاء السنبك الذي راح يرتطم بصخور الشاطئ"[2]، إن تحطم السنبك قد ولد خوفا كبيرا لدى حميدو من ردة فعل الباشا حسن عند معرفة هذا الخبر، فقد باءت كل محاولاته للنجاة بالفشل.

للأسف الشديد نجد بأن التاريخ يعيد نفسه من جديد في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها الجزائر فالأوضاع السياسية في تأزم بسبب ظلم الحكام وجورهم.

فكأن التاريخ يتجدد وهذا ما حصل في مضى في عهد الدولة العثمانية فقد، "تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر، بعدم الاستقرار وتوالي عدة أنماط من الحكم على السلطة ويرجع هذا إلى طبيعة الوجود التركي في الجزائر، فسياسة الأتراك اتجاه البلدان التي دخلت تحت حكمهم، كانت تتصف بعدم التدخل في الحياة

---

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص134.

*سنبوك (مفرد جمعه سنابيك: هو الزورق الصغير).

[2] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص 65.

الخاصة لهذه البلدان الخاضعة مما يجعل الحكم التركي ظاهريا أكثر منه حقيقيا"[1]، فقد مورس نوع من التهميش على دولة الجزائر وشعبها من طرف الحكام، فكانت المناصب العليا والإدارية من نصيب كل من يحمل جذورا تركية، في حين قوبل الشعب الأصلي بالرفض والتهميش.

كان الحكام العثمانيون متشددين وجشعين من أجل تحقيق الثروات وملأ الخزائن فكانوا يفرضون عقوبات وضرائب شديدة على الرياس، إذا فشلوا في الحصول على الغنائم أو في حالة فقدان سفنهم، "مثلما حصل للرايس حميدوا hamido rayas الذي لم ينج من العقوبة إلا بعد أن قدم خريطة للموقع الذي فقد فيه السفينة"[2]، جشع الحكام وتعصبهم من أجل تحقيق رغباتهم مما جعلهم لا يغفرون الأخطاء حتى ولو كان صاحبها ذو نفوذ ومكانة وهذا يلغي كل جهوده فتحتسب هذه الغلطة مدى الحياة، إلا إذا نجح في تحقيق غنيمة أكبر مما فقده مثلما حدث مع الرايس حميدو.

هذه الحادثة قد استحضرتها الكاتبة في روايتها في حديث لعلي طاطار، حيث يقول: "كانت الأمواج بعلو السماء، جعلت السنبك يرتطم الصخور ويصبح هشيما، تطايرت ألواحه وصار يهوي إلى القاع، تعلقت بلوح طويل وصرت فوقه بسرعة خفت أن ترميني الأمواج نحو الصخر القريب وأنا بعد لم أمسك توازني، نجحت في ذلك رغم برودة الماء الشديدة تطلب الأمر وقتا حتى بدأنا نتفقد سلامة بعضنا"[3]، فتصوير الكاتبة لهذه الحادثة كان تصويرا دقيقا وكأنها عايشت تلك الأحداث ونقلتها إلينا بصدق تام.

د_ حادثة نفي حميدو:

لقد ورد في كتب التاريخ بأنه قد تم نفي حميدو إلى بيروت، وهذا ما أورده علي تابليت بقوله: "أرسل حميدو إلى المنفى إلى بيروت، لكنه سرعان ما استقدم الحاج علي باشا أمين خزينة الإيالة، الذي وصل إلى الحكم في 24 محرم 1224هـ/ 11 مارس 1809م،

---

[1] _ حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر 2008م، ص 129.

[2] _ رشيد بن جدي: رياس البحر في الجزائر ودورهم العسكري والاقتصادي منذ بداية الوجود العثماني، إلى غاية نهاية مرحلة البيلر بايات 1518 ـ 1587، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2018 /2019، ص 10.

[3] _ قويدري هاجر، الرايس، ص64.

الرايس حميدو الشهر الذي أكسبت مآثره البحرية الجزائرية مفخرة لا تضاهى"[1]، فبعد موت الداي علي خوجة الغسال، واستلام الداي الحاج علي باشا الحكم بعده، والذي لم يخيب آمال حميدو وأعاده إلى قيادة الأسطول البحري.

لقد ورد في رواية الرايس ذكر هذا الحدث الذي كان له أثر كبير في تغيير حياة حميدو، فقد ورد أنه تم نفيه إلى طنجة بأمر من الداي علي خوجة الغسال، في حديث لعلي طاطار قوله: "لم نكن نملك فكرة واضحة عما سوف نقوم به، ربما سنقرر في طنجة أحببت التخلص من كل ذلك أيضا، ولكنني أعرف أن حميدو سيضجر من اليابسة سريعا، ولعله بدأ بالتذمر مبكرا، حيث جعل ساقيه الاثنتين على جانب واحد من ظهر البغلة ثم نظر إلي قائلا: أنا لست متعودا على هذا"[2]، ومن خلال مقارنتنا للقولين السابقين، يتضح لنا بأن مكان نفي حميدو مختلف ففي كتب التاريخ قد ورد بأنه قد نفي إلى بيروت على عكس ما أوردته الكاتبة هاجر قويدري في روايتها (طنجة)، والمهم هو التهجير الذي يجازى به الوطنيون في كل عصر وخاصة عصرنا الراهن نتيجة الفساد، وهو ما ترمي إليه الكاتبة.

هـ_ حادثة موت حميدو:

لقد لقي الرايس حميدو مصرعه وسط البحر الذي قضى معظم سنين عمره فيه، فقد كان: "هذا الموت عظيما وجديرا بالبطل، إذ لفظ أنفاسه وهو على كرسي القيادة هادئا باسلا تحت نيران مدافع الفرقة الأمريكية، التي كانت فاجأته وحاصرته، وهي الفرقة التي وقف لها حميدو الند للند بكل شرف رغم عدد تكافؤ قوة الطرفين، الذي لم يكن يترك أي بصيص من الأمل لفك الحصار المضروب عليه والنجاة"[3]، وقد ختمت حياة حميدو بطريقة مبهرة ولافتة لتعبر عن مكانته التي حافظ عليها رغم كل الظروف.

تتوالى الأحداث في الرواية لنصل إلى الحدث الذي كان كخاتمة لهذا العمل الإبداعي ألا وهو حادثة موت حميدو، فقد كان هذا الموت عظيما وجديرا بالبطل، لأن حميدو قد انتهى، "في البحر برفقة صديقه علي طاطار بعد أن قصفتهم مدفعية ستيفن ديكاتور، ورغم

---

[1] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص 20.

[2] _ قويدري هاجر، الرايس، ص 177.

[3] _ تابليت علي، الرايس حميدو، أميرال البحرية الجزائرية، ص26.

كل جراح علي طاطار إلا أنه رمى بجثة حميدو في البحر، كما كان يشتهي"[1]، إذ في النهاية قد لفظ حميدو أنفاسه الأخيرة وهو في عمق البحر الذي كان قد عشقه مدى حياته.

كان غياب التاريخ واضحا في هذا العمل وذلك يعود لعدم وجود اهتمام بتوثيق هذه الفترة من العهد العثماني، وكذلك نقص المؤرخين في تلك الفترة، وأيضا نظرا للتخريب الذي طال الوثائق والكتب التاريخية من طرف الاستعمار الفرنسي، كل هذه الأسباب أدت إلى ضياع كم كبير من الإنجازات والحوادث التاريخية المخلدة للموروث، مما صعب علينا معرفة تاريخ الجزائر في تلك الفترة على وجه الحقيقة.

[1] _ قويدري هاجر، الرايس، ص192.

خاتمـــــــــة

في ختام بحثنا الموسوم "بين التاريخي والفني في رواية الرايس" وجدنا أن المؤلفة الجزائرية غاصت في التاريخ وتركت قراءها يسافرون إلى الماضي، حيث رصدت فيها أهم القضايا عبر نوافذ سردية عدة ، تحاول من خلالها تشكيل جزء من قصة الرايس حميدو القائد البحري الجزائري الشهير فترة الحكم العثماني في الجزائر.

وقد أوصلتنا دراستنا بين التاريخي والفني إلى مجموعة من النتائج أهمها:

ـ ما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث المعروفة والشهيرة، بل الإيقاظ الشعوري للناس اللذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية لسلوكياتهم.

ـ استطاعت الروائية في مزجها بين ما هو تاريخي وبين ما هو تخييلي أن تقدم رؤيا تاريخية تخييلية، ليس لغرض نقل التاريخ واستحضاره فقط، بل لمعالجة الوقائع والمقارنة بين الماضي والحاضر والواقع والتخييل.

ـ تجلت مظاهر التخييل الفني في الرواية من خلال الترتيب الزمني التاريخي، ليصبح إطارا زمنيا لوقائع تاريخية متسلسلة.

ـ الرواية التاريخية عمل فني يستعمل التاريخ وأحداثه في شكل فني، لمعالجة قضية تاريخية وقعت في الماضي.

ـ الشخصية مكون هام من مكونات الرواية، فهي المحرك الفعلي للأحداث في رواية الرايس بالإضافة إلى تعدد تصنيفات في الرواية.

ـ نجحت الروائية في توظيف الأبعاد الخارجية والداخلية، مما ساعدنا في معرفة الشخصيات، فقد أعطى لها صفة تخييلية وواقعية.

ـ للروائية دور فعال في انتقاء أسماء وملامح الشخصيات بما يتوافق مع موضوع الرواية.

ـ توظيف الأماكن التاريخية في الرواية، أضفت عليها مسحة تاريخية توحي للقارئ بحقيقتها.

ـ الروائية قد ركزت على المرجعية التاريخية والدينية والاجتماعية، مما منح للرواية صدى كبير على المتلقين.

ـ سرد الأحداث الماضية بطريقة فنية، يخرجها من دائرة الحقائق التاريخية.

ـ رواية الرايس عالجت قضايا الحاضر من خلال العودة إلى الماضي، وإسقاط الأحداث الماضية على حياة الإنسان المعاصر، وخاصة الواقع السياسي المزري للشعوب العربية وجبروت الحكام، وفساد الساسة على الخصوص، والواقع السياسي الجزائري بشكل أخص.

ـ اهتمام الروائية في بنية المكان بالانفتاح والانغلاق وذلك بالتركيز على الحالة النفسية التي تمر بها الشخصيات الحكائية، فقد كانت الأماكن المفتوحة منبعا السعادة وموطنا للدفء والحماية، أما الأماكن المغلقة فهي بؤر الظلم والاحتقار.

ـ غاية هاجر قويدري من استقاء المادة الحكائية من الماضي وكتابة تاريخ الرايس حميدو على شكل رواية، لتولد للقارئ متعة القراءة والكشف عن خباياه وأسراره، وتحفظ تاريخه في ذاكرة الأجيال القادمة.

ـ تقاطع الروائي والمؤرخ في نقطة العودة إلى الماضي، إلا أن كل واحد منهما له هدف مختلف عن الآخر، فهدف المؤرخ هو ملامسة الحقيقة التاريخية، أما مسعى الروائي هو ملامسة الجمال والتأثير في نفوس وعقول القراءة بجدبه وتشويقه وإيقاظ الهوية في النفوس.

وفي الأخير هذه النتائج التي توصلنا إليها ليست نتائج ثابتة تختلف من باحث لآخر كل حسب قراءته وهذا ما يجعل البحث مفتوحا.

الملحـــــق

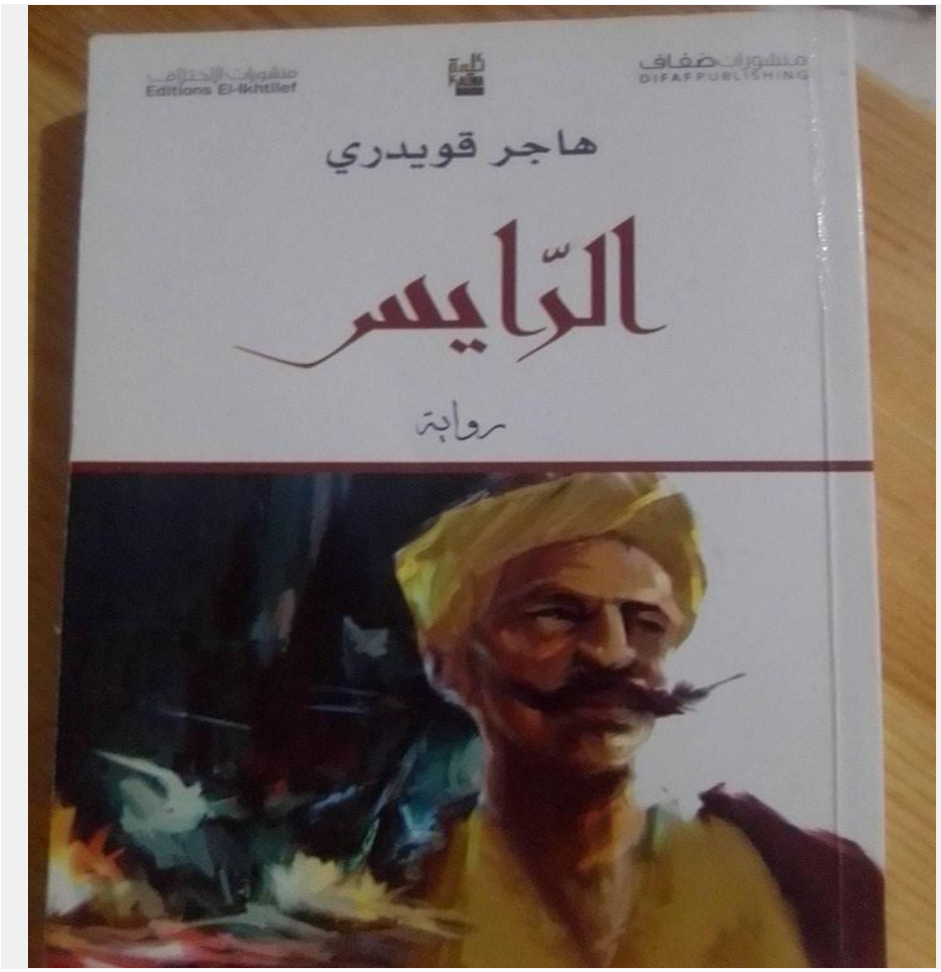
منشورات الاختلاف
Editions El-Ikhtilef
منشورات ضفاف
DIFAF PUBLISHING
هاجر قويدري
الرّايس
رواية

نبذة عن هاجر قويدري وأهم أعمالها:

هاجر قويدري هي كاتبة وروائية وإعلامية، بالإضافة إلى كونها أكاديمية تدرس بالمدرسة العليا للصحافة، حائزة على الماجستير وهي تحضر للدكتوراه في التحرير الإلكتروني وإدارة مضامينه، ابتدأت الكاتبة في مجال الشعر، وهي في الحقل الإعلامي عام 2000م، بدأت بالصحافة المكتوبة ثم العمل الإذاعي من خلال حصتها "ممرات إلى عالم الانترنت"، والعمل التلفزيوني الذي دام سبع سنوات، لتتخلى عنه فيما بعد، حتى تتفرغ للعمل الأكاديمي، لديها أيضا تجربة في كتابة سيناريو الأفلام الوثائقية، منها الفيلم الوثائقي عن الولي الصالح "سيدي بومدين".

وقد أحرزت العديد من الجوائز الأدبية من خلال تجربتها الروائية فحازت على جائزة علي معاشي عام 2008، كما أنها قد فازت بجائزة عن روايتها التي عبرت بها الحدود رواية "نورس باشا"، التي صدرت عام 2012م، ولها رواية أخرى هي" أدعى أوزنجو" إضافة إلى رواية " الرايس ".

ملخص رواية الرايس:

إن المعضلة الأساسية التي تواجه الروائي في كل رواية تاريخية، لكي لا يقع في فخ التأريخ، بل يأخذ منه ما يناسب حكته فقط ويبني حوله سردا يخلص إلى التخييل، وهذا ما نجحت "هاجر قويدري" في فعله فقد نسجت من الأحداث التاريخية عده قصص وحبكات رئيسية وأخرى فرعية.

بحيث تعود الكاتبة في روايتها "الرايس" إلى فتره الحكم العثماني في الجزائر في فترة الممتدة من 1791م إلى 1815م، وقد اتخذت من شخصية " الرايس" حميدو محورا لروايتها، بحيث تتوزع الحكاية عبر نوافذ سردية عدة تطل منها سبعة أصوات أو حادثة كاملة تحاول إعادة تشكيل جزء من قصة الرايس حميدو البطل العظيم، اسمه محمد بن علي ولد بالقصبة في الجزائر العاصمة، عُرف حميدو بعشقه للبحر الذي توجه إليه منذ صغره، فكان يتردد على السفن ويشارك البحارة في رحلاتهم، لقد سعى حميدو جاهدا لأجل إثبات ذاته فجعل يتدرج في المناصب فمن رايس إلى بحار إلى ضابط ثم إلى أمير البحار، وأصبح يقود أسطولا في مياه مرسى وهران.

بدأت الكاتبة روايتها بحادثة تاريخية وجعلتها نقطة الانطلاق، حكاياتها هي حادثة نقل الخمسين شقيا من قرية دومنجيلر الكائنة بجزيرة قبرص إلى إيالة الجزائر، حيث بررت شخصية " بفاريتو " وهو واحد من الخمسين شقيا، الذي يختاره حميدو ليكون من رجال سفينته، ليتناوب مع ستة آخرين على سرد الرواية، فلكل واحد منهم حكايته الخاصة التي تتمايز في أماكن وتتقاطع في أماكن أخرى لتشكل قصة حميدو.

إن الرواية تقوم بتصوير الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر أثناء الحكم العثماني والدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك بين الدايات الأتراك وصراعهم على السلطة.

من أبرز القصص التي وردت في الرواية، حكاية مريم خطيبة حميدو، التي ظلت تنتظره طوال أربعه وعشرين عاما عله يعود ويتزوج بها، وتروي أيضا حكاية " تالار" التي تعمل في تطريز الملابس لتغطي بهذا العمل مهماتها التجسسية التي تكلف بها في بيروت الشخصيات السياسية، كما تطرح الرواية أيضا إشكاليه الهوية والانتماء من خلال شخصية " بيفاريتو، الذي نقل إلى الجزائر وأصبح يرافق حميدو في رحلاته، ثم قام بتغيير اسمه إلى علي طاطار، وظل ضائعا بين شخصيته القديمة وشخصيته الجديدة، بالإضافة إلى حكاية أخرى تتعلق بثروة السيد علي وكيل الخرج، الذي قام بدفنها تحت جثة حبيبته التي قتلها

الباشا، وقبل موته كتب وصية لأخيه من أجل إخراج الثروة، لكن الوصية تقع في يد شخص آخر، وتتوالي الأحداث ويظهر أشخاص يتناوبون لنقل حكاية أميرال البحر "الرايس حميدو".

لتختم هذه الرواية بحادثة موت هذا البطل الذي كرس حياته لنشر السلام في وطنه والحفاظ على أمنه لتنتهي حياته في عرض البحر، وهو يدافع عن وطنه ضد المستعمرين ليكون موته لائقا لتخليد ذكرى القائد العظيم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1) ألبير ديفولكس: خطط مدينة الجزائر، تح: مصطفى بن حموش، د ط، المجمع الثقافي أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 2004.

2) باشلار غاستون: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1984.

3) بشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، ط1، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، المغرب، 1999.

4) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي،الفضاء، الشخصية، الزمن،ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 1990.

5) حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط8، دار المعارف، القاهرة، د ت.

6) حفيظة أحمد: بنية الخطاب السردي في الرواية النسائية الفلسطينية، ط1، منشورات مركز اوغاريت الثقافي، فلسطين 2007.

7) حميد الحميداني: بنية النص السردي، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

8) حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر، 2008م.

9) رياض وتار محمد: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة، د ط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا2002.

10) سالم هندي إسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، دراسة في البنية السردية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأدرن2014.

11) سعيد يقطين: قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود والحدود، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2012.

12) سناء العبيدي سلمان: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعد المالح، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2015م.

13) شكري ماضي عزيزة: في نظرية الأدب، ط1 المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان 2005.

14) شوفليه كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر، تر: جمال حمادنة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

15) طه وادي: الرواية السياسية، د ط، الشركة المصرية للنشر، القاهرة، مصر د ت.

16) طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ط3، دار المعارف، مصر 1994.

17) عبد الحميد بورايو: منطق السرد في القصة الجزائرية الحديثة، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.

18) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج1، د ط، الدار التونسية للنشر، تونس1989.

19) عبد الرحمن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 3، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، د.ت.

20) عبد الله إبراهيم: المحاولات السردية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان2012.

21) عبد الله إبراهيم، التخيل التاريخي، السرد، والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت2011.

22) عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول،ط4، المركز الثقافي العربي المغرب 2005.

23) عبد الله زايد صلاح: دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر، من منظور القراءة والتأويل ، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2014.

24) عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1995.

25) عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت، 1998.

26) عبيد العلي عدنان : الأدب العربي بين الدولة والتاريخ، تح: سامر محي الدين أمين، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن2013.

27) علي تابليت : الرايس حميدو ، أميرال البحرية الجزائرية 1770 _ 1815 ، د ط ، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر 2006.

28) فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2002.

29) قاسم سيزا: بناء الرواية، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر 1984.

30) لودج ديفيد: الفن الروائي، تر: ماهر البطوطي، ط1، دار نشر viking، ع 288، 2002.

31) لوكاتش جورج: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق1986.

32) محمد القاضي: الرواية والتاريخ دراسات في تخييل المرجعي، ط1، دار المعرفة للنشر، تونس2008.

33) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2000.

34) مصطفى ابن حموش: المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا1999.

35) نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن2006.

36) هاجر قويدري: الرايس، ط1، منشورات الضفاف، منشورات الإختلاف، لبنان 2015.

37) هينكل روجر: قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، تر: صلاح رؤوف، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة د ت.

38) ويليام سبنسر: الجزائر في عهد "رياس" البحر، تعريب وتقديم: عبد القادر زبادية، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م.

2/ المعاجم والقواميس:

1) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ط1، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، تونس، د ت.

2) ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، مج1، د ط، دار صادر، بيروت لبنان، د ت. + مج7+مج14.

3) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتب اللبناني، بيروت ـ لبنان ، 1985م.

4) شوقي ضيف: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية للطباعة والتوزيع، القاهرة ـ مصر ـ 2004م.

5) عبد القادر الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ت.

6) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، المجلد 1، دار الحديث القاهرة ـ مصر ـ 2008م.

7) محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، قاموس المصطلحات وتعريفات الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تح: محمد الصديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، القاهرة، مصر د ت.

3/ الدوريات والمجلات

1) أسماء بدر محمد: الحدث الروائي والرؤية في النص، مجلة دواة، ، مج 4، ع 16، 2018م.

2) سهيل جمال الدين: ملامح من شخصية الجزائر خلال ق11الى 17م، مجلة الواحات البحوث والدراسات، ع13، غرداية2011.

3) قوي بوحنية: الحراك السياسي في الجزائر: من إسقاط السلطة إلى الخروج الآمن، مركز الجزيرة للدراسات، 07 أغسطس 2019،

4) نورة بعيو: أشكال وتقنيات توظيف المادة التاريخية في الرواية العربية المعاصرة، مجلة الخطاب،ع9، جامعة تيزي وزو 2011.

5) هنية جوادي: التمثيل السردي للتاريخ الوطني في روايات واسيني الأعرج، مجلة الخبر، ع9، جامعة بسكرة، الجزائر 2013م.

6) يحي بعطيش : خصائص الفعل السردي في الرواية العربية ، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة بسكرة، ع 8، الجزائر 2011.

4/ الرسائل الجامعية:

1) رشيد بن جدي: رياس البحر في الجزائر ودورهم العسكري والاقتصادي منذ بداية الوجود العثماني إلى غاية نهاية مرحلة البيلر بايات، 1518 ـ 1587، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، الجزائر، 2018 ـ 2019.

2) محمد سالمي: جدلية الفني والتاريخي في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2015 /2016م.

3) محمد محمد طبيل حسن: تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2015/2016م.

فهـرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمـــــة ..... أ

الفصل الأول: الرواية والتاريخ 5

تمهيد 6

المبحث الأول: الرواية 7

أولا_ مفهومها 7

ثانيا_ أنواع الرواية 9

المبحث الثاني: التاريخ 11

أولا_ مفهوم التاريخ 11

المبحث الثالث: الرواية التاريخية 17

أولا_ مفهومها الاصطلاحي: 17

ثانيا_ خصائصها 19

ثالثا_ أعلامها 21

الفصل الثاني: بين التاريخي والفني في رواية الرايس 27

تمهيد 28

المبحث الأول: الشخصيات 29

أولا_ مفهوم الشخصية: 29

ثانيا/ أبعاد الشخصية 31

ثالثا_ الشخصية تاريخيا وفنيا 32

المبحث الثاني: المكـــان **41**

أولا_ مفهومه 41

ثانيا_ أهم أنواع الأمكنة في رواية الرايس: 43

المبحث الثالث: الحدث 53

أولا_ مفهومـــه 53

ثانيا/ الحدث تاريخيا وفنيا: 55

خاتمـــــــــة 62

الملحـــــــق 65

قائمة المصادر والمراجع 70

فهـرس الموضوعات 78

الملخـــــص باللغتين العربية والفرنسية

أ_ ملخص البحث باللغة العربية

يتناول بحثنا هذا بالدراسة والتحليل، خطاب الوعي التاريخي في رواية" الرايس "لهاجر قويدري، أي الكيفية التي استقت بها الرواية مادتها الحكائية من التاريخ (الماضي)، وكيفية توظيفها في القالب الروائي والإبداعي، ومعروف أن بنية العمل الإبداعي تتكئ على الأحداث والشخصيات والأمكنة، وهو ما ركزنا على دراسته تاريخيا وروائيا، اعتبارا أن هذه المكونات هي من أهم الدعائم التي تتبنى عليها العملية السردية الإبداعية .

الكلمات المفتاحية: الرواية، التاريخ، الشخصيات، المكان، الأحداث.

Research Summary :

Our research deals with the study and analysis of the discourse of historical awareness in Hajar Qawidari's novel "Al Rais", that is, how the novel derived its narrative material from (past) history, and how it is used in the novelistic and creative template, and it is known that the structure of the creative work depends on events, characters and places. What we focused on studying historically and narratively, considering that these components are among the most important pillars on which the creative narrative process is based.

key words: Novel, history, characters, place, events..